مفاهيم قرآنية

الكتاب: مفاهيم قرآنية

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١٢م ــ لبنان بيروت

جميع حقوق الطباعة محفوظة

مفاهيم قرآنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

فكّرت في آية تكون مقدمة لهذه البحوث فوقع اختياري على هذه الآية التي تتضمن كل أسس العقيدة وهي الإيمان بالمبدأ، والمعاد، والملائكة المأمورين من قبل الله، والمنهج الإلهي، والنبيين الدعاة إلى هذا المنهج. والإيمان بهذه الأمور يعطي الإنسان الدافع للحركة على طريق بناء النفس وممارسة الأعمال الصالحة. وأشارت إلى الإنفاق والصلاة والزكاة من بين المنهج العملي، وهي أساس ارتباط المخلوق بالخالق، والمخلوق بالمخلوق. وفي الحقل الأخلاقي ركزت الآية على الوفاء بالعهد والصبر والاستقامة والثبات، واعلم ان أبرز مصاديق هذه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الآية بعد الأنبياء المعصومين عليهم السلام أهل بيت العصمة عليهم السلام وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لا أريد الإطالة فقط أريد أن أشير إلى أن هذا الكتيب يتحدث عن أصول الدين في القرآن الكريم وهي على الشكل التالي:

١ ـ التوحيد في القرآن الكريم.

٢ ـ العدل في القرآن الكريم .

٣ ـ النبوة في القرآن الكريم .

٤ ـ أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم (أي الامامة).

٥ ـ المعاد في القرآن الكريم .

بالاضافة إلى هذه العناوين هناك موضوعات أخرى في هذا الكتاب جعلناها تحت عنوان «مفاهيم قرآنية»، يقول الإمام الخامنئي (دام ظله): «اليوم، العودة إلى مفاهيم القرآن هو أمر ضروري».

نسأل الله سبحانه أن يوفق القارىء والمستمع ويوفقني للاعتقاد الجازم والعمل الصالح والإقتداء بأهل بيت العصمة عليهم السلام وفقنا يا رب العالمين.

جمعية القرآن الكريم

للتوجيه والإرشاد

التوحيد في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

لقد بُعث نبي الرحمة محمد ﷺ بالنبوة والرسالة من قبل الله (سبحانه) فكانت أول خطوة، وأهم عملٍ قام به،هو مكافحته للشرك والوثنية، لقد قال للناس في بداية دعوته ليرسم لهم طريق السعادة: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

يعني آمنوا بالله تعالى وحده ولا تعبدوا أحداً سواه لتنالوا الفلاح وقد عنى بذلك: أن اتركوا الأصنام العمياء والصمّاء وهذه الآلهة المصطنعة المزعومة وانبذوها، وأطيعوا خالق الكون واعبدوه دون سواه.. أخرجوا من ولاية الظلمة الجبّارين، واقبلوا بولاية رسول الله ﷺ وقيادته حتى تتحرروا وتسعدوا وتصيروا سادة أعزاء، كان النبي ﷺ يقول لهم: أيها الناس إن خالق هذا العالم ومدبّره هو الله سبحانه دون سواه.. إنّه أقام في العالم القوانين والسنن وهو الذي يدير الكون ويدبره. فبتدبيره وتنظيمه وإرادته يأتي الليل والنهار ثم يذهبان وينزل الماء والثلج من السماء إلى الأرض، وتثمر الأشجار والنباتات، وتتفتح الأزاهير والورود وتحصل الحيوانات والبشر على أقواتها.. وسنبين آيات تدل على وجود الخالق المدبّر الحكيم.

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

مفهوم التوحيد:

هو الايمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحّد والأحد من صفات الله تعالى، معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن يُنعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يُنعت به غير الله تعالى لِخلوص هذا الإسم الشريف له جلّ ثناؤه: وتقول: أحّدتُ الله تعالى ووحّدته وهو الواحد الأحد، علة العلل وموجد الممكنات المحسوسة وغيرها.

آيات تدل على الخالق المدبّر:

إعلم أن في الآفاق والأنفس وما خلق الله عزّ وجل من شيء لآيات مبينات، ودلائل واضحات على وجوده سبحانه ووحدانيته والهيته وسائر صفاته من وجوه مختلفة وطرق شتى وأشير إلى بعض هذه الآيات القرآنية المجيدة للتنبيه والإرشاد إلى ذلك.. قال الله عزّ وجلّ حكاية عن الرسل صلوات الله عليهم ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[1].

القرآن الكريم هنا ـ كما في أغلب الموارد الأخرى ـ يستند لاثبات وجود الخالق وصفاته إلى نظام الوجود وخلق السماوات والأرض ونحن نعلم أنه ليس هناك أوضح من هذا الدليل لمعرفة الله، لأن هذا النظام العجيب مليء بالأسرار في كل زواياه وينادي بلسان حاله: ليس هناك من له القدرة على هذه الهندسة إلا القادر الحكيم والعالم المطلق، ولهذا السبب فكلما تقدمت العلوم ظهرت أسرار تدل على الخالق أكثر من السابق وتقربنا من الله كل لحظة.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

هذه الآية تقدم الدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته.

اعلم أنه حيثما كان «النظم والانسجام» فهو دليل على وجود العلم والمعرفة، وأينما كان «التنسيق» فهو دليل على الوحدة، من هنا، حينما نشاهد ظاهر النظم والانسجام في الكون من جهة والتنسيق ووحدة العمل فيه من جهة أخرى، نفهم وجود مبدأ واحد للعالم والقدرة صدرت منه،بل كل هذه المظاهر، وحينما نمعن النظر في الأغشية الستة للعين ألباصرة ونرى جهازها البديع نفهم أن الطبيعة العمياء الصماء لا يمكن إطلاقاً أن تكون مبدأ مثل هذا الأثر البديع، ثم حينما ندقق في التعاون والتنسيق بين هذه الأغشية والتنسيق بين العين بكل أجزائها وبين جسم الإنسان والتنسيق الفطري الموجود بين الإنسان وبين سائر البشر والتنسيق بين بني البشر وبين كل مجموعة نظام الكون، نعلم بأن كل ذلك صادر من مبدأ واحد، وكل ذلك من آثار قدرة ذات مقدسة واحدة.

ـ **ما اكثر العبر وأقل الاعتبار**: الله «سبحانه» احتج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير وهو يدل على وحدانيته وعظمة قدرته وصفاته. قال عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1].

لقد خصّ الله سبحانه بالحجة والعبرة الذين يعلمون ويفقهون ويؤمنون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثاً على النظر وتنبيهاً على أن كلاً مما ذكر آية ودلالة تدل على توحيده وصفاته عزّ وجلّ.

عدد السنين والحساب:

فالله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

فليست السماء والأرض بذاتهما من آيات الله تعالى وحسب بل إن كل واحدة من الموجودات التي توجد فيهما تعتبر آية بحد ذاتها.

أسرار العظمة الإلهية:

ومن آيات التوحيد التي تشير إلى خالق الكون أي الأرض والجبال والأنهار وأنواع الثمار وشروق الشمس وغروبها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٩٥ ـ ٩٩.
(٢) سورة يونس، الآيتان: ٥ ـ ٦.

وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[1].

أليست هذه الأسرار تدل على وجود من يقود هذا النظام بالعلم والحكمة.. فالبحار والأنهار والليل والنهار والفلك وكل واحدة هي في خدمة الإنسان ومصالحه والدقة في هذا التسخير والنظام دليل واضح على عظمة وقدرة وحكمة الخالق المتعال.

دلالة النعم الإلهية على التوحيد:

يعود القرآن الكريم مرة أخرى بعرض جملة أخرى من النعم الإلهية كدرس في التوحيد ومعرفة الله فيقول جلّ جلاله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[2].

وهنا أيضاً يستعرض القرآن الكريم النعم والعطايا الإلهية الكثيرة تأكيداً لمسألة التوحيد ومعرفة الله تعالى وإشارة إلى مسألة المعاد وتحريكاً لحس الشكر لدى العباد وليتقربوا إليه سبحانه أكثر هذا التعبير في نسبة الأسباب والعلل إلى الله عزّ وجلّ كثيرة في القرآن الكريم.

وقال جل ثناؤه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ

(١) سورة الرعد، الآيتان ٣ ـ ٤.

(٢) سورة النحل، الآيات: ٦٦ ـ ٦٩.

وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾﴾[2].

إلى غير ذلك من العبر لأولي الألباب وهي أكثر من أن تحصى، ولا يخفى على من له أدنى تفكير إذا تأمّل في مضمون هذه الآيات، ونظر في عجائب خلق الله تعالى في الأرض والسماوات علم أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم والمنظم لا يستغني عن صانع مدبر وحكيم.

وقد سئل إعرابي بم عرفت ربك فقال: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام تدل على المسير أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج،أما تدلان على اللطيف الخبير؟.

فطرة الله التي فطر الناس عليها:

إن التصديق بوجوده تعالى أمر فطري ولذا ترى الناس عند الوقوع في الأهوال وصعاب الأحوال يتوكلون بحسب الجبِّلة على الله سبحانه

(١) سورة الروم، الآيات: ٢٠ ـ ٢٥.

(٢) سورة النبأ، الآيات: ٦ ـ ١٦.

ويتوجهون توجهاً غريزياً إلى مسبّب الأسباب ومسهّل الأمور الصعاب، وإن لم يتفطّنوا ذلك ويشهد لهذا قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

وقد سُئِل أحد الأولياء عن الله سبحانه فقال للسائل: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال بلى قال: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجي وعلى الإغاثة حين لا مغيث».

وفي الحديث المشهور «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه**»[3].

وحدانية الله:

إن الله سبحانه واحد لا شريك ولا نظير له إذ «لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون كما قال الله عزّ وجلّ في سورة المؤمنون آية ٩١: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

يعني لو تعدد لتميز صنع بعضهم عن بعض فيستبد كل بملكه ولوقع

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.
(٣) عوالي اللآلي/ ج١، ص٢٠.

بينهما التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا وكما قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

قصة موحد يبهت ملحداً:

روى أحد العلماء حكاية بعض الموحدين وواحداً من الملاحدة في مجلس حسن بن سهل الوزير قال دخل عالم إلى مجلس الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد أعظم الناس حوله فقال له لقد رأيت عجباً، قال وما هو؟ قال رأيت سفينة تنقل الناس من جانب إلى جانب بغير ملاح ولا ناصر، قال فقال له الملحد: إن هذا اصلحك الله لمجنون، قال كيف؟ قال لأنه يذكر سفينة من خشب جماد لا حيلة ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل إنه يعبر الناس ويفعل فعل الانسان كيف يصح هذا، فقال له العالم: فأيهما أعجب هذا أو هذا الماء الذي على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولاحيلة ولا قوة وهذا النبات الذي يخرج من الأرض والمطر الذي ينزل من السماء كيف يصح ما تزعمه من أن لا مدبر له كله وأنت تنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر، وتعبر الناس بلا ملاح، قال فبهت الملحد.

أيضاً قصة إبراهيم الخليل عليه السلام التي تحكيها آيات قرآنية:

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾[1].

نسأل الله عزّ وجلّ ان يعيننا على توحيده وتنزيهه وطاعته

إنه سميع مجيب

(١) سورة الانعام، الآيات: ٧٤ ـ ٧٩.

مفاهيم قرآنية

العدل الالهي في القرآن

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

إعلم أنّه يجب على كل مسلم أن يعتقد إعتقاداً جازماً بأن الله عادل ويطمئن إلى عدله، فإن الله عزّ وجلّ لم يظلم أحداً، وقد أعطى كل مخلوق ما يحتاجه، وعندما نقول أن خالق هذا الكون عادل، فإن كلاً منّا يعني أن الله تعالى أقام في هذا الكون قوانين وسنناً، ومنح لكل ظاهرة قابلية خاصة ـ كالإحراق بالنسبة للنار ـ فإذا تعاملنا مع هذه القوانين، ومع خصوصيات عالم الخلق بصورة صحيحة استمتعنا بفيضه تعالى ورحمته، ووصلنا ـ في ظل عدله وفضله ـ إلى النتيجة المنشودة، وإذا نحن لم نكترث لقوانين عالم الخلق التي هي مظاهر لإرادة الله تعالى، ظلمنا في الحقيقة أنفسنا، وسنرى نتيجة عدم اكتراثنا حتماً ويقيناً إن عدل الله سبحانه في عالم الآخرة يعني أيضاً أن الله بصَّرَ الناس عن طريق رسله ـ بالخير والشر وعرّفهم بهما وعيّن لقاء الأعمال الحسنة الثواب المناسب ولقاء الأعمال السيئة العقوبة المناسبة، وإن الله لا يظلم أحداً في الآخرة.. بل يعطي للجميع الثواب أو العقاب المناسب، فإذا كانوا قد سلكوا طريق الحق والاحسان، وعبادة الله سبحانه، حظوا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

بالنعم الالهية وإذا كانوا قد سلكوا طريق الباطل والمادية، وظلموا أنفسهم ـ كما عبّرت الآية وآيات كثيرة على نفس السياق ـ أصابهم في عالم الآخرة عذاب شديد ورأوا نتيجة أعمالهم السيئة...

إذاً الآيات القرآنية الصريحة التي لا تقبل التأويل تثبت العدل الالهي وتنفي كل لون من ألوان الظلم عن حريم الله المقدس، فمن خلال مصادر الشريعة يمكن أن ندرك ونتوصل إلى ضوابط للأفعال، وخاصة الأفعال الالهية، ويحكم على أساسها بلزوم القيام بهذا الفعل وترك الفعل الآخر، فمثلّا يحكم ـ على ضوء القرآن ـ ان الله تعالى يدخل المؤمنين الجنة والكفار النار فمن خلال الوحي الالهي ندرك هذا الأمر. وسنشير إلى طائفة من الآيات القرآنية التي تنفي الظلم عن الله سبحانه وتثبت الحكمة والعدل له تعالى ولكن بعد بيان مفهوم العدل الالهي.

مفهوم العدل:

العدل في اللغة بمعنى السوية والتسوية، وفي العرف العام استعمل بمعنى رعاية حقوق الآخرين، إعطاء كل ذي حق حقه «ولكن أحياناً هكذا يُعرَّف» وضع الشيء في موضعه «وعلى وفق هذا التعريف، يكون العدل مرادفاً للحكمة، والفعل العادل مساوياً للفعل الحكيم، إذاً فيمكن أن يُتصور للعدل مفهومان، خاص وعام.

أحدهما: رعاية حقوق الآخرين.

والثاني: إصدار الفعل على وجه الحكمة، بحيث تعتبر رعاية حقوق الآخرين من مصاديقه.

وعلى ضوء ذلك، فلا يلازم العدل، القول بالتسوية بين البشر

جميعاً وبين الأشياء كلها، وكذلك، فإن مقتضى الحكمة والعدل الالهي لا يعني خلق المخلوقات بصورة متساوية، فيخلق ـ مثلاً ـ للانسان القرون، أو الأجنحة أو غيرها بل إن مقتضى حكمة الخالق وعدله أن يخلق العالم بصورة تترتب عليها أكثر ما يمكن تحققه من الخير والكمال. وكذلك مقتضى الحكمة والعدل الالهي أن يكلّف كل إنسان بمقدار استعداده وقابليته يقول سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] وأن يقضي ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2] ويحكم فيه على حسب قدرته وجهده، وأن يجازيه ثواباً أو عقاباً بما يتلاءم وأفعاله.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

العدل في حكمة الله في خلقه:

يقول الله عزّ وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4].

الآية تشير إلى أن من صفة أولي الألباب أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وعدله ثم يقولون ما خلقت هذا الخلق عبثاً وباطلاً بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلاً على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته أو يلحق نقصاً بذاته فيقولون (سبحانك) يعني تنزيهاً لك عما لا يجوز

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٤.
(٣) سورة يس، الآية: ٥٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٢.

عليك فلم تخلقهما عبثاً ولا لعباً بل تعريضاً للثواب والأمن من العقاب.

وفي هذا السياق يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1].

معناه وما خلقناهما عبثاً بل لما اقتضته الحكمة وهي أنا قد تعبدنا أهلها ثم نجازيهم بما عملوا يوم القيامة.

العدل في تقدير كل شيء:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

يعني كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجبه الحكمة لم يخلقه جزافاً ولا عبثاً، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق، وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم وعلى قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر والأذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض.

العدل في حسن الخلق:

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[3].

يعني أنه أحسن خلقه من جهة الحكمة لكل شيء خلقه وأوجد فيه وجهاً من وجوه الحكمة تحسنه.

العدل في هداية الخلق:

يقول الله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٥.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٧.
(٤) سورة طه، الآية: ٥٣.

يقول القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام أنه عليه السلام يصوّر لفرعون بهذه الجملة القصيرة كيفية خلق العالم الفيّاض باللطف والجمال والنظام التام الذي هو من آيات الله سبحانه وتعالى ويبين له ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ او يدرك ذلك النظام العادل والدقيق في جميع أجزاء الوجود.

إن النظام والاعتدال من السنن الحاكمة على الطبيعة بصورة قسرية وكل شيء من أجزاء الطبيعة يتحرك في اطار السنن والقوانين الطبيعية نحو كماله ومسيرته الخاصة، وان أي انحراف عن النظام العام والعلاقات السائدة عليه يؤدي إلى الاضطراب والاختلال في نظام الكون.

الله قائم بالعدل:

يقول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾[1] فالآية تشير إلى أنَّ الله عادل وأنه قائم بالعدل على أساس أن العدل صفة إيجابية لذات الله سبحانه فالقرآن إذن لم يكتفِ بتنزيه الله عن الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[2]، وإنما اثبت لله سبحانه صفة العدالة بصورة إيجابية.

العدل في بيان الحجة:

ويقول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾[3].

يعني وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعدما حكم بهدايتهم ﴿حَتَّىٰ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ وحتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم.

وفي هذا السياق يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

معناه لا يعذب سبحانه في الدنيا والآخرة إلا بعد البعثة.

ويقول أيضاً: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

فيقولون لم ترسل الينا رسولاً ولو أرسلت لأمنا بك.

ويقول سبحانه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3].

بين لها ما تأتي وما تترك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4].

عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً.

وقال أيضاً عزّ وجلّ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[5]. طريقي الخير والشر.

العدل في ثواب الرجل والمرأة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[6] يعني أعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تفضحنا ولا تهلكنا يوم القيامة: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٨.
(٤) سورة الدهر، الآية: ٣.
(٥) سورة البلد، الآية: ١٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[1] يعني لا أبطل ولا أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الايمان وفي هذا السياق يقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

إذن هناك علاقة العلية بين الأعمال الحسنة والقبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويين، وقد كشف عنها الوحي الالهي، ونبّه الناس عليها، وكما أننا نلاحظ في عالم الدنيا، أن هناك بعض الجرائم التي تعقبها آثار سيئة تمتد إلى مدة طويلة، رغم قصر مدّة الجريمة فمثلاً لو فقأ الانسان عينه هو، أو عيون الآخرين فأعماها، فإن هذا الفعل يتم في مدة قصيرة جداً، ولكن نتيجته ـ وهي العمى ـ تمتد إلى نهاية العمر ـ وكذلك الذنوب الكبيرة لها آثارها الأخروية الأبدية، وإذا لم يوفر الانسان في هذه الدنيا مستلزمات جبرانها (كالتوبة مثلاً) فإنه سوف يعيش آثارها السيئة وإلى الأبد فكما أن بقاء عمى الانسان إلى نهاية العمر بجريمة لم تستغرق إلا لحظة واحدة لا ينافي العدل الالهي، فكذلك الابتلاء بالعذاب الأبدي نتيجة لارتكاب الذنوب الكبيرة لا ينافي العدل الالهي، وذلك لأنه نتيجة الذنب الذي ارتكب عن سابق وعي وإصرار.

أمر الناس بإقامة العدل:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

إذن كيف يمكن أن يدعو الله الناس إلى إقامة العدل وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ثم هو يرتكب الظلم ويتجاوز العدل..

إن القرآن الكريم يعطي العدل أهمية خاصة ويرفع من مقام العدل ويجعله هدف بعث الأنبياء ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[2].

فالقرآن الكريم يبين لنا أن العدل بمفهومه الاجتماعي هدف «للنبوة».

قصة العدل في مقابل أعمال العباد:

ومن شؤون العدل الالهي، العدل في اعمال وافعال العباد التي كان الحساب عليها وفق نظام دقيق سواء أعلمنا أو لم نعلم: (كما أشرنا اليه).

عندما تخرج من المنزل في الصباح فإن كل حركة تصدر منك فإن العدل الالهي يحصيها، فالصدقة التي نعطيها للفقير تؤدي إلى انقاذك من حفرة في جهنم، وقد يتفق عند رجوعك إلى البيت أن يقال لك ان ولدك كاد أن يسقط من سطح الدار إلا أنه لم يسقط والحمد لله.

ومن أجل الاعتبار ننقل لكم هذه القصة: يروى أن امرأة كانت من بني إسرائيل ولم يكن لها سوى رغيف واحد، فجاء سائل يشكو إليها الجوع فأعطته ذلك الرغيف ورجعت إلى الحقل ووضعت إبنها جانباً

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

وذهبت لتعمل فجاء ذئب وأخذ طفلها بأسنانه ليأكله، فظهر ملك بصورة إنسان وأخذ الطفل من فم الذئب وأعطاه إلى أمه وقال (لقمة بلقمة)، أي أن لقمة الذئب هذه عوضاً عن الرغيف الذي أعطيته لذلك السائل، نستنتج مما سبق أن العدل الإلهي حقيقة بذاتها من وجهة نظر القرآن وأن العدالة من الصفات التي لا بد أن تتصف بها ذات العلي العظيم.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يشملنا بلطفه ورحمته إنه غفور رحيم

والسلام عليكم ورحمة الله

النبوة في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

لقد كانت البشرية في مطلع حياتها تعيش حياة إجتماعية بسيطة، وبازدياد أفراد المجتمع البشري ظهر التضاد بين المصالح ومن ثم الاختلاف، ووجدت الحاجة إلى التوجيه والقانون.

وكان من الضروري أن يعمل رسل رب العالمين في الوهلة الأولى على توعية الناس على الحياة الأخرى باعتبارها آخر مرحلة للمسيرة التكاملية وعلى ما سيواجهه الانسان في تلك الحياة من نعيم أو جحيم. فجاؤوا مبشرين بما سينعم الله تعالى به على المحسنين من ثواب، ومنذرين بما سيجازي به الله عزّ وجل المجرمين من عقاب ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ وبعد هذا الانشداد إلى العالم الآخر تتوفّر الأرضية لتطبيق الأحكام الالهية التي تضمن سعادة البشر، ثم تتوالى هذه الأحكام على الأنبياء لابلاغها إلى الناس.لقد بعث الله سبحانه الكثير من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

الأنبياء لهداية الناس وارشادهم. وكان آدم عليه السلام أوّل أولئك الأنبياء والنبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم آخرهم وخاتمهم إن عدد الأنبياء، غير معلوم لنا على وجه التحديد واليقين ولكن جاء في بعض الروايات أن عددهم هو مائة وأربعة وعشرون ألفاً (٠٠٠، ١٢٤).

عن أبي ذر رحمه الله قال: قلت يا رسول الله كم النبيون؟ «قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جماً غفيراً: قلت من كان أول الأنبياء قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلاً قال: نعم...»[1] لقد كان بعض أولئك الأنبياء أصحاب ديانات وشرائع خاصة، ولم يكن بعضهم الآخر أصحاب شريعة خاصة، بل كانوا يروّجون لشريعة من سبقهم من الأنبياء ويدعون إليها.

كما كان بعضهم أصحاب كتب وبعضهم الآخر لم يكونوا أصحاب كتب وربما كان في زمن واحد أنبياء متعددون يقومون بمهامّهم ومسؤوليّاتهم الالهية في البلدان والمدن المختلفة.

لقد ذكر في القرآن الكريم أسماء (٢٦) منهم وهم: آدم، نوح، إدريس، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، اليسع، ذو الكفل، إلياس، أيوب، يونس، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، هارون، داوود، سليمان، زكريا، يحيى، إسماعيل، صادق الوعد، عيسى، محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

مفهوم النبوة:

النبوة حالة إلهية يدرك الإنسان من خلالها المعارف التي بها يرتفع الاختلاف والتناقض في حياة الإنسان، وهذا الإدراك والتلقي من الغيب

(١) بحار الأنوار/ ج١١، ص٣٢.

هو المسمى في لسان القرآن بالوحي، والحالة التي يتخذها الإنسان منه لنفسه بالنبوة.

والنبي: العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله، وذلك لأنه يُهتدى به والنبي على وزن فعيل مأخوذ من النبأ، سُمي به النبي لأنه عنده نبأ الغيب بوحي من الله.

وقيل هو مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة سُمّي به لرفعة قدره ولأنه شرّف على سائر الخلق. والنبي هو الذي أنبأ عن الله.

والنبي الطريق، والأنبياء طُرق الهُدى قال أبو معاذ النّحوي سمعت إعرابياً يقول من يدلني على النبي أي على الطريق.

الفرق بين النبي والرسول هو:

الرسول هو الذي يبعث فيؤمر بالتبليغ ويحمل الرسالة والنبي هو الذي يبعث سواء أمر بالتبليغ أو لم يؤمر.

أنبياء أولوا العزم:

يقول الله سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: لبعض أصحابه: منهم خمسة أولوا العزم من الرسل وقلنا: من هم؟ قال: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، قلنا له: ما معنى أولوا العزم؟ قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها[2].

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) البحار: ١١/ ٣٣/ ٢٥.

أهداف الأنبياء:

هناك عدة أهداف للأنبياء جاءت الاشارة إليها في الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة نذكر منها:

١ ـ الدعوة إلى معرفة الخالق والايمان به وحده وهذه هي الأساس في دعوة الأنبياء والرسل جميعاً يقول الله عزّ وجل:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(١).

٢ ـ إلفات النظر إلى مسألة المعاد وحياة ما بعد الموت والايمان بها، وبالجنة ونعمها وجهنم وعذابها يقول الله سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٢).

وقوله سبحانه: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾(٣).

٣ ـ الدعوة إلى الايمان بالنبوة وبارتباط الأنبياء والرسل بالله تعالى، عبر الوحي، وتصديق الأنبياء السابقين من دون تفريق يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٤).

هذه الأمور الثلاثة كانت تشكل الأساس في دعوة الأنبياء.. ولقد قال رسول الله ﷺ عند دعوته عشيرته وقومه:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٨٤ ـ ٨٥.

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ثم قال) إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامّة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً والنار أبداً»[1].

٤ ـ الدعوة إلى تزكية النفس:

يقول الله عزّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

فقد دعى الأنبياء إلى مكارم الأخلاق وفضائلها وحذروا من ذمائم الأخلاق ورذائلها وبيّنوا الآثار الدنيوية والأخروية الطيبة لمكارم الأخلاق.. والتبعات السيئة للآخلاق الذميمة لكي يجتنبها الناس. وفي هذا السياق يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

قال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٥ ـ دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد والتسليم لأوامره سبحانه:

يقول عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(١) الكامل في التاريخ/ ج ٢، ص ٦١.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

٦ ـ قيام الناس بالقسط:

يقول الله عزّ وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

هذا ولقد اعتنى الأنبياء بإصلاح أمور الناس الاجتماعية والاقتصادية عنايةً كاملةً فدعوا الناس إلى اكتساب العلم والمعرفة والاستفادة من المصادر الطبيعية والعمل والسعي وكانوا يرغبون في رعاية العدل والحق ويحذّرون من الظلم والعدوان حفاظاً على سلامة المجتمع وأمنه.

المعجزة عند الأنبياء:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾(٣).

وقال عزّ وجل أيضاً: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾(٤).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الأعراف الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٩.
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٦٣ ـ ٦٧.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٨ ـ ٦٩.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

إعلم ان الأنبياء يدّعون بأنهم على إرتباط بالله سبحانه وبعالم الغيب.. وأنهم قد كلّفوا من جانب الله تعالى بأن يتلقّوا رسالاته، ثم يبلغوها إلى الناس، وعليهم أن يجتهدوا في ارشادهم وهدايتهم.

إنه إدعاء كبير لا يقبله الناس من دون شاهد قوي، ودليل معتبر.. ولهذا يجب أن يمتلك الأنبياء دليلاً وشاهداً لاثبات صحة دعواهم.. إن أكبر دليل للأنبياء هو المعجزة... وهي العمل الخارق للعادة الذي يعجز عن إتيانه الناس العاديون.

ـ إن وجود المعجزة عند رسل الله سبحانه أمر ضروري في نظر القرآن الكريم وقد أشير إليها بصراحة في عشرات الآيات. إكتفينا هنا بما ذكرنا، ثم إن القرآن الكريم هو معجزة النبي محمد ﷺ الخالدة والتي كانت تتناسب مع عصره كما هو حال من سبقه من الأنبياء.

الوحي للأنبياء:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

الوحي هو الطريق الذي تحصل بواسطته علوم الأنبياء فهم يتلقون رسالتهم عن طريق الوحي ويبلغوها إلى البشر.

عصمة الأنبياء:

يقول الله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا

(١) سورة الاسراء، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥١.

مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾[1].

تظهر الآية أنه تعالى شأنه يختص رسله بالوحي فيظهرهم ويؤيدهم على الغيب بمراقبة ما بين أيديهم وما خلفهم والاحاطة بما لديهم لحفظ الوحي عن الزوال والتغير بتغير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم.

وقال سبحانه: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾[2].

فنفى عن المهتدين بهدايته كل مضل يؤثر فيهم بضلال فلا يوجد فيهم ضلال، وكل معصية ضلال.

ونعني بالعصمة وجود أمر في الانسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ أو المعصية.

والعصمة على ثلاثة أقسام:

١ ـ العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي.

٢ ـ العصمة عن الخطأ في التبليغ والرسالة.

٣ ـ العصمة عن المعصية وهي ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولوية ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافي العبودية منافاة ما ومما يدل على عصمتهم عليهم السلام قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[3].

فلو تحقق من الرسول خطأ في فهم الوحي أو في التبليغ كان ذلك إرادة منه تعالى للباطل والله سبحانه لا يريد إلا الحق.

---

(١) سورة الجن الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.

العلم بالغيب:

يقول الله عزّ وجل: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾[3].

يستفاد من هذه الآيات أن العلم بالغيب وإن كان أولاً وبالذات مختصاً بالله تعالى، وأن باب الاطلاع على ذلك العالم موصد في وجه البشر ولكنه تعالى يُطلع أنبياءه على عالم الغيب عن طريق الوحي ويوقفهم إذا شاء ومتى شاء على الحقائق والأمور الغيبية.

عالم الغيب يقابل عالم الشهادة، فإن جميع الموجودات التي تكون أسمى وأعلى من المادة والماديات تعد من عالم الغيب مثل «الله» سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته والملائكة وعالم البرزخ والموجودات البرزخية، والقيامة وأحوالها وأوضاعها والجنة والنار ونعم الجنة والعذاب الأخروي.

خاتم النبيين:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[4].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

عن الإمام الصادق عليه السلام: جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة[1].

عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

رواية قصة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبو طالب:

لما أكمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأربعين من عمره الشريف، نزل عليه جبرئيل ليبشره بالبعثة النبوية لارشاد وهداية الناس، وبدون أدنى تردد قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر التبليغ على أحسن وجه، بكل صبر ومقاومة واستقامة ضد الجاهلية والوثنية العمياء، ويوماً بعد يوم كان الدين الإسلامي يجد له محلاً في قلوب الناس عبر كلمات التوحيد ودعوات الاخاء، والصداقة، والمحبة، والعدل، والمساواة،... التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوغها ببلاغته الرائعة، وكلماته الدافئة، وسلوكه الطاهر، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يستغل مناسبات قدوم الناس إلى مكة في الأشهر الحرم فيقابلهم ويدعوهم إلى الاسلام، وكان هؤلاء الناس ينقلون كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعقائد الدين الجديد إلى أهاليهم وأقوامهم عندما يعودون، وهكذا اتسع الإسلام بسرعة فائقة، مما أثار حفيظة فراعنة قريش، والمنتفعين من عبادة الأصنام فقاموا بصد ومنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقاومته وإبعاد الناس عنه وتحذيرهم منه، وكانوا يشكون أمره إلى أبي طالب عليه السلام عمه ويطلبون منه أن يمنع محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الدعوة إلى الاسلام.

---

(١) الكافي /ج ٢/ص ١٧/ح ٢.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

فيقولون له: يا ابا طالب: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويسمعنا ما نكره، فإن رأيت أن تكفه عنا وأنت كبيرنا وسيدنا. ورأى أبو طالب عليه السلام أن من المناسب أن يمتص غضبهم ويجاريهم ويهدأ فورتهم، وهو المحامي العاقل، والمدافع المتزن الكامل، فقال لهم سوف أتكلم مع ابن أخي وهو يعلم رفض ابن أخيه لمطالب القوم، ولكن اراد بحكمته ـ أن يهدأ الأوضاع، فذهب أبو طالب عليه السلام وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤني وقالوا كذا وكذا فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجواب خلّده التاريخ برمته وهو يحكي صمود وصبر واستقامة النبي: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى، ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب عليه السلام فقال: أقبل يا ابن أخي وقل ما احببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً[1].

نسأل الله عزّ وجلّ أن يعرّف بيننا وبين رسوله

يوم القيامة وأن يحشرنا إلى جواره

والسلام عليكم ورحمة الله

(١) مناقب ابن شهر آشوب/ ج١/ ص ٥٨، الغدير/ ج ٧/ ص ٣٥٩.

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

إعلم ان الأئمة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن عملهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مُقامه وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماعٍ وروايةٍ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل[2]. واعلموا أيضاً أيها الاخوة أن وظائف الأئمة عليهم السلام هي نفسها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما عدا تلقي الوحي والاتيان بالشريعة) ومن الأدوار التي يقوم بها الأئمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي: تبيين مفاهيم القرآن الكريم وحل معضلاته، وبيان مقاصده وهذا يعد من أبرز وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

أيضاً بيان الأحكام الشرعية والاجابة عن الأسئلة الدينية والاعتقادية وإقامة القسط والعدل والأمن العام الشامل في المجتمع

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) (نهج البلاغة).
(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

الإسلامي.. وحفظ الثغور والحدود، والثروة الاسلامية من هجمات الأعداء..

كل هذه تعد من وظائف النبي ﷺ والقيام بها يحتاج إلى قائد واعٍ خبير، يكون موضع عناية الله الخاصة. كما يكون في علمه صنو النبي ونظيره، أي أن يكون حاملاً للعلوم النبوية ومصوناً من كل خطأ وزلل، ومعصوماً من كل ذنب وخطلٍ، ليستطيع القيام بالوظائف الجسيمة المذكورة وليملأ الفراغ الذي أحدثه غياب النبي ﷺ بسبب وفاته إن من البديهي أن تشخيص مثل هذا الشخص، والمعرفة به لإيكال منصب القيادة إليه، خارج عن حدود علم الأمة ونطاق معرفتها، ولا يمكن أن يتم بغير رسول الله ﷺ والأمر الالهي.

ونحن إذا دققنا بآية التطهير الآنفة الذكر يظهر لنا أمور عدة حول الامامة.

١ ـ أن الامامة لمجعولة.

٢ ـ أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.

٣ ـ أن الأرض.. لا تخلو عن إمام حق.

٤ ـ أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى.

٥ ـ أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الامام.

٦ ـ أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم.

٧ ـ أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس.

فهذه سبعة مسائل هي أمهات مسائل الامامة تعطيها الآية الشريفة بما ينضم إليها من الآيات والله الهادي.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان شرائط الامامة قال: كبارُ حدود ولاية الإمام المفروض الطاعة أن يعلم أنه معصوم من الخطأ والزلل والعمد، ومن الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، لا يزلّ ولا يخطىء، ولا يلهو بشيء من الأمور الموبقة للدين، ولا بشيء من الملاهي، وأنه أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وفرائضه وسننه وأحكامه مستغنٍ عن جميع العالم، وغيره محتاج إليه وأنه أسخى الناس وأشجع الناس[1].

مفهوم أهل البيت:

أهل البيت في الآية: البيت التعريف فيه للعهد والمراد به النبوة والرسالة والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتاً ولهذا سمّوا الأنساب بيوتاً وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال:

ألا يا بيتُ بالعلياءِ بيتُ ... ولولا حبُ اهلك ما أتيتُ.
ألا يا بيت أهلُك أوعدوني ... كأنّي كل ذنبهم جنيت.

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق:

بيتُ زُرارةُ محتبٍ بفنائه ... ومُجاشع وأبوا الفوارس نهتل.
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم ... أبداً إذا عُدّ الفعال الأكمل.

وقيل البيت بيت الحرام وأهله هم المتقون على الاطلاق لقوله أن أولياؤه إلا المتقون وقيل البيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أهله من مكّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ولم يخرجه ولم يسد بابه وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ثم اختلفوا فقال عكرمة اراد أزواج النبي لأن أول الآية متوجه إليهنّ وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وعائشة وأم سلمة أن الآية

(١) البحار/ ج ٤٠/ص ٣٣٦/ح ٢٧.

مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تحمل حريرة لها فقال ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساءً له خيبرياً فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فقلت يا رسول الله وأنا معهم قال أنت إلى خير.

وروى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: «لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة»، قال: «ادعوا لي ادعوا لي» فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصلِ على محمد وآل محمد» وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وصيي الرسول ﷺ:

فبعد مضي ثلاث سنوات على اليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ كلفه الله تعالى بأن يبلغ رسالته لأبناء قبيلته، وذلك عندما نزل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]. فجمع النبي ﷺ رؤوس بني هاشم وقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم «ولقد كرر النبي ﷺ العبارة الأخيرة ثلاث مرات ولم يقم في تلك المرات إلا الإمام علي عليه السلام الذي أعلن

(١) بمستدرك الصحيحين/ ج ٣، ص ١٤٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

عن استعداده في كل مرة لمؤازرة النبي ﷺ ونصرته وفي المرة الثالثة قال النبي ﷺ: «إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا»[1].

وفي حديث المنزلة:

فقد اعتبر النبي ﷺ منزلة «علي» عليه السلام منه على غرار منزلة هارون من موسى عليه السلام ولم يستثني من منازل ومراتب هارون من موسى إلا النبوة حيث قال: «يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[2].

آيات كثيرة بحق أهل البيت عليهم السلام:

أنقل إليكم أيها الأعزاء مجموعة كبيرة من آيات الله الباهرة نزلت في العترة الطاهرة أليسوا عليهم السلام «حبل الله سبحانه الذي قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ والصادقين الذين قال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وصراط الله الذي قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ وسبيله الذي قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وأولي الأمر الذي قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وأهل الذكر الذين قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والمؤمنين الذين قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ والهداة الذين قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أليسوا من الذين أنعم الله عليهم، واشار

(١) مسند أحمد ١/ ١٥٩ تفسير الطبري: ٢/ ٤٠٦ وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ٣ بع ١٢ ١٣ هـ باب غزة تبوك.
صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠ باب فضائل الإمام علي عليه السلام.
سنن ابن ماجة: ١/ ٥٥ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.
مستند الإمام أحمد: ١/ ١٧٣.. وغيرهم.

في السبع المثاني والقرآن العظيم إليهم، فقال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ﴾ وقال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ ألم يجعل لهم الولاية العامة؟ ألم يقصرها بعد الرسول عليهم؟ فأقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ ألم يجعل المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحا مشروطة بالاهتداء إلى ولايتهم إذ يقول ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ ألم تكن ولايتهم من الأمانة التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ ألم تكن من السلم الذي أمر الله بالدخول فيه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أليست هي النعيم الذي قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ألم يؤمر رسول الله ﷺ بتبليغها؟ ألم يضيق عليه في ذلك بما يشبه التهديد من الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ألم يصدع رسول الله ﷺ بتبليغها عن الله يوم الغدير حيث خطب خطابه، وعبّ عبابه فأنزل الله يومئذ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ ألم تر كيف فعل ربك يومئذ بمن جحد ولايتهم علانية، وصادر بها رسول الله جهرة قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فرماه الله بحجر من سجيل كما فعل من قبل «باصحاب الفيل وأنزل في تلك الحال: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢﴾ وسيسأل الناس عن ولايتهم يوم يبعثون كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ ولا غرو فإن ولايتهم ممّا بعث

الله به الأنبياء واقام عليه الحجج والأوصياء كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ بل هي مما أخذ الله به العهد من عهد، ألست بربكم كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ وتلقى آدم من ربه كلمات التوسل بهم فتاب عليه وما كان الله ليعذبهم وهم أمان أهل الأرض ووسيلتهم إليه فهم الناس المحسودون الذين قال الله فيهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وهم الراسخون في العلم الذين قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وهم رجال الأعراف الذين قال: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ ورجال الصدق الذين قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

ورجال التسبيح الذين قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ وبيوتهم هي التي ذكرها الله عزّ وجلّ فقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ وقد جعل الله مشكاتهم في آية النور مثلاً لنوره ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ وهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ وهم الصديقون والشهداء والصالحون، وفيهم وفي أوليائهم قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ وقال في حزبهم وحزب أعدائهم: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وقال في الحزبين أيضا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ وقال فيهما أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ وقال فيهم وفي شيعتهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ وقال

فيهم وفي خصومهم: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ وفيهم وفي عدوهم نزل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ وفيهم وفيمن فاخرهم بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أنزل الله تعالى: ﴿۞أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفي جميل بلائهم وجلال عنائهم قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ وقال ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ وقد صدقوا بالصدق فشهد لهم الحق تبارك اسمه فقال: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ فهم رهط رسول الله المخلصون، وعشيرته الأقربون الذين اختصهم الله تعالى بجميل رعايته وجليل عنايته فقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ (وقد تقدم) وهم أولوا الأرحام ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ وهم المرتقون يوم القيامة إلى درجته، الملتحقون به في دار جنات النعيم بدليل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ

﴿أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وهم ذوو الحق الذي صدع القرآن بإيتائه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ وذوو الخمس الذي لا تبرأ الذمة إلا بأدائه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وأولوا الفيء: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وهم أهل البيت المخاطبون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ آل ياسين الذين حياهم الله سبحانه في الذكر الحكيم فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ وآل محمد الذين فرض الله تعالى على عباده الصلاة والسلام عليهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فقالوا: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد».. الحديث، فعلم بذلك أن الصلاة عليهم جزء من الصلاة المأمور بها في هذه الآية، ولذا أعدّها العلماء من الآيات النازلة فيهم حتى عدّها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه في آياتهم عليهم السلام فـ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾.

من يباريهم وفي الشمس معنى ... مجهد متعب لمن باراها.

فهم المصطفون من عباد الله، السابقون بالخيرات بإذن الله تعالى، الوارثون كتاب الله الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ (وهو الذي لا يعرف الأئمة) ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (وهو الموالي للأئمة) ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، (وهو الامام) ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ وفي هذا القدر من آيات فضلهم كفاية وقد قال ابن عباس: نزل في علي وحده ثلاثمئة آية وقال غيره نزل فيهم ربع القرآن ولا غرو فإنهم وإياه الشقيقان لا يفترقان[1].

(١) كتاب المراجعات/ ص ٣٩ إلى ٥١.

عصمة أهل البيت عليهم السلام:

بالاضافة إلى آية التطهير في سورة الأحزاب / ٣٣ والتي عُلّقت إرادة الله تعالى الخاصة بطهارة أهل البيت عليهم السلام من أي نوع من أنواع الرجس يلازم عصمتهم من الذنوب والمعاصي، لأن المقصود من تطهيرهم من ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ في الآية هو تطهيرهم من أي نوع من أنواع القذارة الفكرية والروحية والعملية التي من أبرزها المعاصي والذنوب.

أيضاً حديث الثقلين يدل على عصمتهم عليهم السلام وهو متواتر عند السنة والشيعة فقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمة الاسلامية قائلاً: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[١].

فالحديث يعتبر اهل البيت عليهم السلام عدل القرآن الكريم يعني كما يكون القرآن الكريم مصوناً من أي لون من ألوان الخطأ والاشتباه كذلك يكون أئمة أهل البيت مصونين من أي لون من ألوان الخطأ والاشتباه الفكري والعملي ومعصومين من أي نوع من أنواع الزلل والخطل.

أيضاً يدل على ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن أهل بيته كسفينة نوح التي ينجو من الغرق من ركبها ويغرق في الأمواج من تخلف عنها.

إذ قال: إنما مثل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٢].

---

(١) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢، سنن الترمذي: ٢/ ٣٠٧، سنن الدرامي ٢/ ٤٣٢، مسند احمد: ٣/ ١٤، ١٧... وغيرهم.

(٢) مستدرك الحاكم: ٢/ ١٥١ والخصائص الكبرى للسيوطي ٢/ ٢٦٦.

عدد الأئمة عليهم السلام:

الأئمة عليهم السلام إثنا عشر إماماً نص عليهم بالتفصيل والاجمال فبالاضافة إلى أن كل إمام كان يعين من بعده نذكر لكم بعض الروايات في ذلك. في تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله تعالى طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي: أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي، ثم سميي محمد وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان. قال جابر: فقلت يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيؤون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن اهله.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: إن عدة الخلفاء بعدي عدة نقباء موسى[2].

(١) صحيح مسلم: ١٨٢١.
(٢) كنز العمّال: ٤٩٧.

قصة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد وإقناعه بضرورة الامامة:

عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام ابن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم، وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزرٌ بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له ألك عين؟ فقال: يا بني أي شيء من هذا السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء قلت: أجبني فيها، قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها ألألوان والأشخاص، قلت: فلك انف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: اذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت فما تصنع بها؟ قال: اسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي

صحيحة سليمة، قال يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا ابا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذاً هو ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علّمك هذا؟ قلت شيء أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[1].

وفي نهاية هذا الموضوع ندعوا الله سبحانه بما ندعوا في غيبة الإمام (عج).

اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني.

(١) الكافي/ ج ١/ ص ١٦٩ ١٧١.

المعاد في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

يتفق جميع الأنبياء وجميع الكتب السماوية على أن حياة الانسان لا تختم بالموت، بل هناك بعد هذا العالم الدنيوي عالم آخر ينتقل إليه الانسان ويرى فيه جزاء أعماله وأفعاله، فهو إما صالح وإما طالح فأما الصالحون المحسنون الأبرار الطيبون الذين يحترمون الواجب ويحسنون العمل.. ويساعدون أبناء جنسهم ويبرّون باليتامى والفقراء والمحرومين وأصحاب الأخلاق الحسنة.. الرحماء الصادقون، الأمناء الأوفياء.. لا يظلمون أحداً ولا يؤذون الناس ويحبون العدل، ويعملون به.. ويدافعون عن حقوق المحرومين والمستضعفين، وربما يعرضون أنفسهم لخطر الموت في سبيل الله.. ويعملون بواجباتهم بالكامل، ويجتنبون ارتكاب كل مخالفة بشدة، هؤلاء ستكون لهم حياة طيبة وسعيدة، وسوف يعيشون في نعمة، وروح وريحان وجنات النعيم.

وأما الطالحون السيئون المسيئون الذين يظلمون الآخرين، ويعتدون على حقوق الناس.. وسيئو الأخلاق... الكاذبون الخائنون.. الذين لا يعملون بواجباتهم ولا يحترمون وظائفهم.. ولا يتورعون عن اختراق أي

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

عمل قبيح في سبيل الوصول إلى الجاه والمنصب والمال والثروة. واللذة والمجون، وهؤلاء العصاة ستكون لهم حياة صعبة شقية وسيعيشون في عذاب وألم.

إن المعاد وعالم ما بعد الموت من القضايا الضرورية في جميع الأديان السماوية، وكل من يقبل بالأنبياء ويؤمن بهم يجب أن يقبل بالمعاد أيضاً ويؤمن به.

إن العقل البشري هو الآخر يجب أن يؤمن بوجود عالم آخر ويعتبره ضرورياً ولازماً، ونحن هنا سنركّز على الآيات القرآنية في إثبات المعاد وعالم الآخرة إن شاء الله تعالى.

مفهوم المعاد:

المعاد: المصير والمرجع وهو يوم القيامة الذي يعود فيه الموتى إلى الحياة مرة أخرى، وينتقلون من عالم البرزخ إلى عالم آخر يُدعى عالم الآخرة، هذا اليوم هو يوم محاسبة أعمال العباد جميعاً بصورة دقيقة.

القرآن والرد على منكري المعاد:

إعلم أنّ المعاد وإن كان أمراً قطعياً ومسلَّماً وقد اتفق عليه جميع الأنبياء.. وأقيمت على إثباته البراهين.. لكنّ فريقاً من الناس كانوا قد أنكروا ذلك ورفضوا القبول به.

يقول المنكرون: عندما يموت الانسان ويبلى جسمه كيف يعود إلى الحياة مرة أخرى وكيف يحشر؟.

وقد كان الكفار في عهد رسول الله ﷺ يستبعدون ذلك، فقد جاء أحد الكفار بعظم بالٍ وسحقه بيده ثم ذره على الأرض بين يدي رسول الله ﷺ وقال: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾.

فنقل القرآن الكريم هذه القصة وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[1].

وأشار في آيات كثيرة إلى نماذج من خلق الموجودات وحتى الانسان نفسه لاثبات قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى يقول عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[2].

وقال جل جلاله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾[3].

القيامة في القرآن الكريم:

اذا تصفحنا القرآن الكريم لنطّلع على المعاد يوم القيامة نجد آيات كثيرة تبين خصوصيات ذلك اليوم وتفاصيله واليكم بعض هذه الآيات على سبيل المثال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿۞ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾

(١) سورة يس الآيتان: ٧٧ ـ ٨١.
(٢) سورة الحج، الآية: ٥.
(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٣ ـ ٤.

وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾[1].

فهذه الآيات تفيد بأن النظام الكوني ينتهي يوماً ما، وعندها يقوم يوم القيامة وتعلم كل نفس ما قدمت من الأعمال وما خلّفت من آثار.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾[2] فعندما تفقد الشمس والنجوم ضوءها وتوازنها وتندك الجبال ويحدث غير ذلك مما تتحدث عنه الآيات تقسم الجماعة البشرية إلى طوائف وفرق.. فهناك الصالحون وهناك الطالحون.. هناك الأبرار وهناك الأشرار.

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[3].

إن يوم القيامة يوم رهيب مهول يومٌ يقترن بدوي عظيم يترك الناس حيارى مندهشين كالجراد المتفرّق المتبعثر.

يقول عزّ وجلّ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾[4].

الى غير ذلك من الآيات التي تحكي عن أهوال يوم القيامة وعلاماتها.

---

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١ ـ ٥.
(٢) سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٧.
(٣) سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٨.
(٤) سورة القارعة، الآيات: ١ ـ ٥.

تفرّد الله بعلم الساعة واقترابها:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فوفقاً لما ورد في بعض الروايات فإن قريشاً أرسلت عدة أنفار إلى نجران ليسألوا اليهود مسائل مكتوبة ثم يلقونها على النبي ﷺ عند رجوعهم إليه ظناً منهم أن النبي ﷺ يعجز عن إجابتهم ومن جملة هذه الأسئلة كان هذا السؤال: متى تقوم الساعة؟ فلما سألوا النبي ﷺ ذلك السؤال نزلت الآية وافحمتهم.

وقال أيضاً «سبحانه» ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[2].

وقال أيضاً جل جلاله: ﴿۞ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[3].

وقال ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين ـ واشار باصبعه: السبابة والوسطى ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأجد الساعة بين كتفي.

يوم الخروج في القرآن:

قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾[4].

وهو اليوم الذي يلي النداء والصيحة القيامة والبعث والنشور

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١.
(٤) سورة ق، الآية: ٤٢.

والخروج من القبور إلى أرض الموقف للحساب وهي من أشد الساعات.

كتاب الأعمال في القرآن:

يقول عزّ وجلّ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[1].

تشير هذه الآية إلى أن كل إنسان يحمل عمله من خير أو شر كالطوق في عنقه وهو دليل وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم ويخرج له يوم القيامة كتاباً مفتوحاً كتبه الحفظة عليه في أعماله فيعرض عليه ليقرأه ويعلم ماضيه، كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[2].

أيضاً ورد أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه، وإذا أراد بعبدٍ شراً حاسبه على رؤوس الناس وأعطاه كتابه بشماله.

قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾[3].

(١) سورة الاسراء، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ١٣.

قصة عزير في القرآن:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

أولاً: هذه الآية تدور حول المعاد والحياة بعد الموت.

ثانياً: اختلفت الأقوال فيمن المقصود بهذه الآية: قال بعض إنه «أرميا» وقال آخرون: إنه «الخضر» وذكر أنه «العزير».

المهم هو أخذ العبرة والشاهد وسنذكر القصة بشكل مجمل، فالآية تشير إلى حكاية رجل سافر على حماره ومعه طعام وشراب، فمر بقرية قد تهدّمت وتحوّلت إلى أنقاض تتخللها عظام أهاليها النخرة فلما رأى هذا المشهد المروع قال: كيف يقدر الله على إحياء هؤلاء الأموات، لم يكن تساؤله بالطبع من باب الشك والانكار بل كان من باب التعجب، إذ أن القرائن الأخرى في الآية تدل على أنه كان أحد الأنبياء وقد تحدث إليه الله سبحانه، كما أن الأحاديث تؤيد هذا.. عند ذلك أماته الله مئة سنة، ثم أحياه مرة أخرى وساله: كم تظن أنك بقيت في هذه الصحراء؟ فقال وهو يحسب أنه بقي سويعات: يوماً أو أقل، فخاطبه الله بقوله: بل بقيت هنا مائة سنة، انظر كيف أن طعامك وشرابك طوال هذه المدة لم يصبه أي تغير بإذن الله ولكن لكي تؤمن بأنك قد أمضيت مائة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

سنة كاملة هنا انظر إلى حمارك الذي تلاشى ولم يبق منه شيء بموجب نواميس الطبيعة، بخلاف طعامك وشرابك، ثم انظر كيف أننا نجمع أعضاءه ونحييه مرة أخرى فعندما رأى كل هذه الأمور أمامه قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إنني الآن على يقين بعد أن رأيت البعث بصورة مجسمة أمامي.

نسأل الله عزّ وجل أن يوفقنا لمرضاته
وأن يدخلنا فسيح جنانه إنه سميع مجيب
والسلام عليكم ورحمة الله

العقل في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1] يعني أفلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا أن لذلك صانعاً قادراً عالماً حياً حكيماً لا يستحق الإلهية سواه ولا تحسن العبادة إلا له.

وفي هذا السياق يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

فبيّن الله سبحانه أن من لا ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كأنه لا عقل له، فيكون مثل قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

لقد اعترف القرآن الكريم بكون العقل كاشفاً قطعياً عن الحقائق والواقعيات، فالقرآن الكريم لا يقول: إقبلوا بالعقائد والمعارف الدينية من

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

دون دليل قط بل يطلب من الناس أن يستخدموا عقولهم ويتوصلوا إلى الحقيقة والواقع بالتفكير والاستدلال ويؤمنوا عن يقين إن القرآن المجيد يدعو الناس في آيات عديدة إلى التعقل والتدبر، والتفكير والتفقه ونشير إلى طائفة من هذه الآيات على سبيل المثال بعد بيان مفهوم العقل.

مفهوم العقل:

العقل: ضد الحمق والجمع عقول: وهو نور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية.

رجلٌ عاقل: وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلتُ البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها.

أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام.

والعقل: القلب، والقلب العقل، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه، وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الانسان من سائر الحيوان ويقال: لفلانٍ قلب عقول، ولسانٌ سئول، وقلبٌ عقول: فهم، وعقل الشيء يعقله عقلاً: فهمه.

والعقل التثبت في الأمور.

والمعقول: ما تعقله بقلبك، يقال «ما له حول ولا معقول» أي عقل، وعلم معقولاً وغير معقول أي عقل وعلم، علم المعقولات: علم يبحث فيه عما اختص العقل بإدراكه من المدركات.

دور العقل في الإسلام:

اعلم أن العقل يعد من منابع المعارف والأحكام الاسلامية وأدلتها، وأن له استقلالية في بعض القضايا والأمور فهو يصدر فيها حكماً قطعياً مثل: إمتناع إجتماع النقيضين، وارتفاع النقيضين، وإمتناع

إجتماع الضدين في موضوع واحد وزمان واحد، وغير ذلك من القضايا العقلية البديهية التي تسمّى «بالأوليّات» وكذا مثل الحكم بأن كل ممكن مرتبط بعلة.

إن العقل ربما يتوصل ـ من خلال عملية التفكير والاستدلال والبرهنة أي ترتيب الصغرى والكبرى... إلى نتيجة قطعية لا يشك في حجيتها وإعتبارها.

إن الحياة الانسانية اليومية تقوم أساساً على هذه المدركات والقضايا العقلية التي من دون القبول بها لا يمكن القيام بأي عمل، حتى استخدام الحواس والتجربة، لأن الانسان بعد أن يعترف بمبدأ «العلية» يعمد إلى التجربة، ويواصلها، فهو حينما يعترف مثلاً ـ بتأثير الماء في رفع العطش يعمد إلى تحصيل الماء عندما يتعرض للعطش.

هذا ينطلق من قانون العلية الذي يقضي به العقل نفسه.

ومن هنا فإن حجية الدليل العقلي أمرٌ مسلم ومسألة بديهية لا تحتاج إلى الاستدلال والبرهنة.

خمسة آيات تصف أولي الألباب:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ ـ ١٩٤.

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل استاك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول: إن في خلق السماوات والأرض إلى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزلت هذه الآيات قال: ويل لمن لاكها بين فكيّه ولم يتأمل ما فيها.

وورد عن الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر..

لقد بين عزّ وجل في هذه الآيات دلالات على توحيده وصفاته العلى لذوي البصائر والعقول وذكر أوصاف أولي الألباب وهي بشكل مجمل:

١ ـ الذين يذكرون الله في سائر الأحوال.

٢ ـ يتفكرون في خلق السماوات والأرض ويتدبرون في ذلك ليستدلوا على وحدانية الله سبحانه وكمال قدرته وعلمه وحكمته ليعترفوا «ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك».

٣ ـ يدعون الله عزّ وجلّ أن يقيهم من عذاب النار ويغفر ذنوبهم ويمحي عنهم سيئاتهم وأن يقبضهم إليه في جملة الأبرار ويسألونه الثواب..

٤ ـ يلبّون نداء الهداية الذي أطلقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم..

٥ ـ يؤكدون ثقتهم بالله تعالى وإيمانهم بالمعاد يوم القيامة وأنه سبحانه لن يخلف وعده.

وفي هذا السياق يقول سبحانه: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[1].

وقال ايضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

صفات العاقل في الحديث:

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: صفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البر، وإذا أراد أن يتكلم تدبر فإن كان خيراً تكلم فغنم وإن كان شراً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل ـ[3].

وعن علي عليه السلام وقد سئل عن العاقل قال: هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل: فصف لنا الجاهل فقال: قد فعلت.

ما يذكر الا أولوا الألباب:

يقول الله سبحانه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

ذكر للحكمة معانٍ كثيرة منها: معرفة اسرار عالم الوجود، ومعرفة حقائق القرآن والوصول إلى الله بالقول والعمل، وأخيراً معرفة الله، بهذه كلها تنطوي تحت المعنى الواسع للحكمة.

---

(١) سورة الجاثية، الآيات: ١ ـ ٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.
(٣) تحف العقول / ٢٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

وإذا نزلت الحكمة بساحة أحد فقد نزلت بساحته البركة والخير الكثير لا الخير المطلق، لأن السعادة والخير المطلق ليسا في العلم وحده بل العلم هم عامل لهما.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

التذكر هو حفظ العلوم والمعارف في داخل الروح.

والألباب جمع لب وهو قلب كل شيء ومركزه ولهذا قيل للعقل اللّب.

تقول هذه الفقرة من الآية أن أصحاب العقول هم الذين يحفظون هذه الحقائق ويتذكّرونها.. لأنهم يستخدمون عقولهم فيشقون طريقهم على ضوء نورها الساطع.

العقل عبارة عن قوة يعرف الحق بها:

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

ومفاده أنهم طالبوا الحق والرشد فهم يستمعون القول رجاء أن يجدوا فيه حقاً، وخوفاً أن يفوتهم شيء منه.

هؤلاء هم ذوو العقول ويستفاد منه أن العقل هو الذي به الاهتداء إلى الحق وآيته صفة إتباع الحق.

فائـــدة:

لقد استدل القرآن الكريم لإثبات بعض حقائقه ومواضيعه وأتى

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

بالبراهين والحجج لكي يحرّك عقولنا، ويدفعنا إلى التفكير ويحملنا على التدبر والنظر.

ولقد جرت سيرة الرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام على البرهنة والاستدلال كذلك.

ولهذا يجب أن لا نتردد أو نشك في حجية الأدلة العقلية ولكننا مع ذلك ـ لا ندّعي قط أن الأدلة العقلية لا تخطيء أبداً.. بل كما أن الحواس يجوز عليها الخطأ، والاشتباه، كذلك قد يخطيء الانسان في استدلالاته العقلية أيضاً.

ولكن يجب أن لا نتخذ موارد الخطأ دليلاً على عدم حجية الأدلة العقلية وكاشفيتها، بل يجب أن نفتش عن علل الخطأ ونتجنبها وعلم «المنطق» هو الذي يتكفل هذا الأمر وقد دوّن لهذا الغرض.

وعلى هذا الأساس يمكن اثبات بعض الحقائق عن طريق العقل والتفكر، وإقامة البراهين العقلية، والايمان بها عن يقين: مثل: أصل وجود الله، وصفاته، وأصل المعاد، وحشر الأموات والعقوبات والمثوبات الأخروية، ومثل أصل ضرورة بعث النبي، وبعض صفاته..

ففي هذه الموارد يمكن الاستفادة من العقل والأدلة العقلية والايمان بها عن يقين.

ولكن لا يمكن الاستفادة من الأدلة العقلية في جميع المعارف: فمثلاً لا يمكن اكتشاف خصوصيات وتفاصيل القيامة وعالم البرزخ، وصحيفة الأعمال والحساب، والميزان، والصراط، ونعم الجنة وعذاب الجحيم عن طريق العقل، بل لا بد في مثل هذه الموارد من الرجوع إلى ما ورد لها في القرآن والأحاديث من وصف ولا يطلب في الايمان بها اكثر من هذا المقدار.

قول أصحاب السعير:

قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

يعني لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ويعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار.

وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله.

وعن أنس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن إجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم[2].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: لمّا خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: «وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب أما إني إياك آمر وإيّاك أنهى، (وإياك أعاقب)، وإيّاك أثيب»[3].

تعقّل الحلال والحرام:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا

(١) سورة الملك، الآية: ١٠.
(٢) أحاديث في الدين والثقافة الإجتماعية: ج ١/ ص ١٠٥.
(٣) بحار الأنوار/ ج ١/ ص ٩٦.

﴿تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

يعني لكي تعقلوا ما أمركم الله تعالى به فتحللوا ما حلّله لكم وتحرّموا ما حرمه عليكم.

فهم الأمثال:

يقول الله عزّ وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[2].

يعني أمثال القرآن الكريم ما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله تعالى.

وروى الواحدي بالاسناد عن جابر قال تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل لطاعته واجتنب سخطه.

دور العقل في الحياة:

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن وعدته العقل، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم راعٍ وراعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرىء عقب

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٢.

ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل»[1].

أي عقل له وهو يطيع الشيطان:

عن عبد الله بن سنان قال ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام: رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وأي عقل وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: «وكيف يطيع الشيطان؟ فقال سله هو الذي يأتيه أي شيء هو فإنه يقول لك: من عمل الشيطان»[2].

قصـــة الثواب على قدر العقل : (المقصود منها أخذ العبرة).

روي... عن محمد بن سليمان عن أبيه: قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا قال: فقال كيف عقله؟ فقلت لا أدري، فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله عزّ وجلّ في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء، وإن ملكاً من الملائكة مرّ به، فقال: يا رب أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله عزّ وجلّ ذلك، فاستقلّه الملك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن اصحبه فأتاه الملك في سورة انسي فقال له من انت؟ قال أنا رجل عابد بلغنا مكانك وعبادتكم بهذا المكان فجئت لأعبد معك فكان معه يومه ذلك، فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزهة، قال: ليت لربنا بهيمة، فلو كان لربنا حمار لرعيناه في هذا الموضع فإن هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك: وما لربك حمار؟

(١) أخرجه الكراجكي في كنز الفوائد كما في البحار ج ١ ص ٩٥.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج١/ ص ٩٨.

فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش! فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الملك إنما أثيبه على قدر عقله[1].

نختم هذا البحث بقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع».

(١) البحار: ج١، ص ٨٤.

العلم في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

يعني لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله سبحانه من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك إعلم أنه من أراد الوصول إلى جوار الله تعالى والتوجه نحوه كما قال سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وكما أشار إليه النبي ﷺ بقوله «سافروا تغنموا» فحقه أن يجعل أنواع العلوم كزادٍ موضوع في منازل السفر فيتناول في كل منزل قدر البلغة ولا يعرج على تفصّيه واستغراق ما فيه فإنه لو قضى الانسان جميع عمره في فنٍ واحد لم يدرك قعره ولم يسبر غوره وقد نبّهنا البارى سبحانه على ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه، وقال الشاعر:

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين.

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٨.

وقال بعض الحكماء في ذلك إن الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كانت ثمرتها يانعة ويجب أن لا يخوض في فنّ حتى يتناول من الفن الذي قبله بُلغته ويقضي منه حاجته، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وعليه يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[1].

أي لا إخلالٍ بالترتيب والفهم والعمل وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الأصول. وحق الطالب أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلّغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ به النهاية والنهاية هي معرفة الله سبحانه فالعلوم كلها خدم لها وهي حرة، وروي أنه رُئيت صورة حكمين من الحكماء في بعض مساجدهم وفي يد أحدهما رقعة فيها «إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء» وفي يد الآخر «كنت قبل أن أعرف الله أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب» بل قد قال الله تعالى ما قد اشار به إلى ما هو أبلغ من حكمة كل حكيم.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾[2].

أي أعرفه تمام المعرفة ولم يقصد بذلك أن يقول ذلك قولاً باللسان اللّحمي فذلك قليل الغنا ما لم يكن عن طويّة خالصة ومعرفة حقيقيّة وعلى ذلك قال عليه الصلاة والسلام: من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة.

مفهوم العلم:

من صفات الله عزّ وجلّ العَليمُ والعالِمُ والعَلّام، قال الله عزّ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الانعام، الآية: ٩١.

وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقال: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فهو الله العالِمُ بما كان وما يكونُ قبل كونِهِ، وبما يكونُ ولمّا يكن بعدُ قبلَ أن كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها، على أتمّ الامكان.

وعليم فعيل: من أبنية المبالغة ويجوز أن يقال للانسان الذي علمه الله علماً من العلوم: عليم، كما قال يوسف للملك: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وقال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، وإنهم هم العلماء، وكذلك صفة يوسف عليه السلام: كان عليماً بأمر ربه وأنه واحدٌ ليس كمثله شيء إلى ما علّمه الله من تأويل الأحاديث الذي كان يقضى به على الغيب.

فكان عليماً بما علّمه الله.

والعلم: نقيض الجهل، وهو إدراك صور الأشياء وانطباعها في النفس. علمَ علماً الرجل: حصلت له حقيقة العلم والشيء: عرفه وتيقنه وشعر به وادركه.

العلم التعليمي: هو العلم الرياضي كالحساب والمساحة والموسيقى.

العلم العملي: هو ما كان متعلقاً بكيفية عمل فتطبق فيه قواعد الفنون والعلوم ومبادؤها.

علم الفلك: علم يبحث به في مواقع الاجرام الفلكية وأبعادها ومادتها ومدة دورانها.

العلم اللّدني: هو ما تعلمه العبد من الله بالوحي من غير واسطة.

العلم النظري: هو خلاف العملي، أي ما كان غير متعلّق بكيفية عمل.

العلوم المدونة: هي التي دوّنت في الكتب.

العلوم المتعارفة: هي المقدمات البينة بنفسها في العلوم المدوّنة.

العلوم الآلية: هي آلة لتحصيل غيرها كعلم المنطق.

العلوم العربية: هي العلوم المتعلقة باللغة العربية كالصرف والنحو والمعاني والبيان وتسمّى بعلم الأدب.

العلوم الشرعية: هي العلوم المدوّنة التي تذكر فيها الأحكام الشرعية العملية أو الاعتقادية وتسمى بالعلوم الدينية أيضاً كعلم الكلام والفقه.

العلوم الحقيقية: هي العلوم التي لا تتغير بتغير الملل والأديان كعلم الكلام وعلم المنطق.

العلوم الالهية: هي التي تبحث عن الوجود المطلق من حيث ـ هو هو، وعما يتعلق بأمور غير مادية كالواجب والممكن والعلة والمعلول، ويدخل فيها البحث في الأرواح وفي الله، ويسمى بالعلم الأعلى والفلسفة الأولى وعلم ما بعد الطبيعة.

علم النفس: بسيكولوجيا.

علم طبقات الأرض: جيولوجيا.

علم الحياة: بيولوجيا.

علم الاجتماع: سوسيولوجيا.

علم أعضاء البدن: مورفولوجيا.

ولقد أجاد من قال:

العلمُ أنفسُ شيءٍ أنت ذاخره ... فلا تكن جاهلاً تستورث النَّدما

تعلّم العلمَ وأجلس في مجالسه ... ما خاب قط لبيب جالس العلما

محدودية علم الانسان:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1].

المراد أنت تعلم ما غاب وما بطن ونحن إنما نعلم ما نشاهده.. وفي الآية دلالة على إثبات المعاد والحشر والنشر.

وفي هذا السياق يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

فعلم الانسان بالنسبة لمجهولاته كقطرة ببحر.

وقال عزّ وجلّ أيضاً: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

فدل على أن هناك علماً كثيراً لم يؤت الانسان إلا قليلاً منه، فالله هو المحيط بكل خفايا الأمور، ولا يستطيع البشر مهما بلغ وعيهم وفطنتهم إلاّ أن يفهموا جانباً من تلك الخفايا والمصالح.

النهي عن كتمان العلم:

يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[4].

فقد أخذ الله سبحانه ميثاقه من العلماء على أن يبينوا الحق وينشروا علمهم بين الناس، وحثهم على إظهار الحق وبيانه ونهى عن إخفائه وكتمانه ثم بين جزاء الذين يكتمون آيات الله والحقائق الدينية. وفي الآية دلالة على أن كتمان الحق مع الحاجة إلى اظهاره من أعظم الكبائر

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.
(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

وأن من كتم شيئاً من علوم الدين وفعل مثل اليهود والنصارى في كتمان الحق فهو مثلهم في عظم الجرم ويلزمه كما لزمهم الوعيد وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: من سئل عن علم، يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار.

وفيها أيضاً دلالة على وجوب الدعاء إلى التوحيد والعدل لأن في كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تأكيداً لما في العقول من الأدلة.

طلب العلم:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

معناه فهلا خرج إلى الجهاد من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقهوا في الدين ويتعلموا القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعوا إلى أهلهم ورجع المجاهدون تعلّموا منهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ.

وعن رسول الله ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم[2].

علم الكتاب والحكمة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة الكافي ١/ ٣٠/ ١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

في هذه الآية دلالة على أن إبراهيم واسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد ﷺ بجميع شرائط النبوة لأن تحت التلاوة الأداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لأمته باللطف الذي لأجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا أذكياء.

فهم العلماء للأمثال والآيات:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[1].

يعني وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله سبحانه وروى الواحدي بالاسناد عن جابر قال تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وفي هذا السياق يقول عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

يعني أن للقرآن الكريم دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي ﷺ والمؤمنون به لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم.

إعتراف أهل العلم بالحق:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٦.

يعني من أوتي العلم يعلمون القرآن انه الحق لأنهم يتدبرونه ويتفكرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال أنه ليس من قبل البشر، فهؤلاء يقرون أنه يهدي إلى الحق.

علم عدد السنين والحساب:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

هذه موعظة رائعة للناس وخصوصاً للعلماء ومنهم علماء الفلك ليتعظوا من الدور المهم للشمس والقمر في حياة الانسان. فقد جعلهم سبحانه آيتين من آياته وفيهما أعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وفي بث الشمس الشعاع في العالم وتأثيرها في الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه في الطرفين ليتميز أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه، وهذه الآيات يبينها سبحانه ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيعطون كل آية حظها من التأمل والتدبر.

علم الساعة:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) سورة يونس، الآية: ٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

يختص علم الساعة والآخرة والقيامة بالله عزّ وجلّ لأن ذلك من علم الغيب وقد يخبر سبحانه لأنبيائه وأوصيائه ببعضه.

حرمة القول بغير علم:

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

بعد ذكر عدد من المحرمات بيّن الله سبحانه أخيراً أنه حرّم القول عليه بغير علم.

فضل العلماء:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

عن ابن عباس يرفع الله تعالى الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم ومسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه أن يقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على غيرهم، وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد عن علي عليه السلام من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة.

قصة طالوت:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

القصة باختصار: كان لموسى عليه السلام بعد موته خلفاء من الأنبياء يقيمون أمر الله في بني إسرائيل الواحد تلو الآخر، ومن هؤلاء الخلفاء نبي ذكره القرآن، ولم يسمه، ولكنه كان في عهد داود، كما يستفاد من الآيات، وقال كثير من المفسرين انه صمويل، وفي ذات يوم أتاه جماعة من بني إسرائيل، وقالوا له: أقم علينا أميراً نصدر عن رأيه في تدبير الحرب ونقاتل معه في سبيل الله تعالى، فقال لهم نبيهم ـ وكان قد سبر أحوالهم ـ اني أتوقع تخاذلكم إذا كتب عليكم القتال، ودعيتم إلى الجهاد، قالوا كيف نتخاذل، وقد اخرجنا العدو من ديارنا، وحال بيننا وبين أبنائنا؟! فاستخار الله نبيهم فيمن يصلح للقيادة فأوحى الله سبحانه: اني قد اخترت عليهم طالوت ملكاً، وقيل أنه سمي طالوت لطوله، ولما أخبرهم النبي بأن الله قد اختار طالوت، قالوا: كيف يكون له الملك علينا وهو غير عريق النسب، وفارغ اليد من المال؟!.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أن زعامة الجيش لا تحتاج إلى نسب ونشب، وإنما تحتاج إلى الشجاعة، والمعرفة بتصريف الأمور، والله سبحانه قد منح طالوت الكفاءة العلمية والخلقية، والقدرة الجسمية، وسائر مؤهلات الزعامة والرئاسة.. فقالوا: نريد معجزة تدل على مكانته هذه.. قال: آية ذلك أن يعود إليكم التابوت، تأتيكم به الملائكة بأمر الله تعالى. قيل: إن هذا التابوت كان فيه بقية ألواح موسى وعصاه، وثيابه وشيء من التوراة، وكان قد سلبهم إياه الفلسطينيون في بعض المعارك الحربية.. وقيل: بل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

رفعه الله إلى السماء بعد وفاة موسى.. ولما جاء التابوت بمعجزة من الله سبحانه صحت عندهم العلامة، وأمروا لطالوت بالسلطان والقيادة.

وقادهم طالوت إلى جهاد عدوهم، وأخبرهم بأنهم سيمرون على نهر يمتحن به اخلاص المخلصين منهم، فمن كان صابراً محتسباً فلا ينهل منه إلا بمقدار ما يأخذه باليد، فمن امتثل فهو المخلص الذي يوثق به، أما الذي ينهل، حتى يرتوي فلا معول عليه في الحرب والجهاد، ولما مروا على النهر عصوا كعادتهم، وشربوا إلا نفراً قليلاً ثبتوا على الصدق والايمان.

ولما التقى الجمعان: بنو إسرائيل بقيادة طالوت، والفلسطينيون بقيادة جالوت خاف أكثر الاسرائيليين، وقالوا لطالوت: لا طاقة لنا بجالوت وجنوده. وقال المؤمنون القليلون منهم الذين لم يشربوا من النهر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، ودعوا الله سبحانه أن يمنحهم الصبر والثبات، والنصر على العدو، فاستجاب لهم ربهم بعد أن علم منهم العزم والصدق في النية، وقتل داود جالوت، وانهزم العدو شر هزيمة، وصار لداود بقتل جالوت من الصيت والسمعة ما ورث به ملك بني إسرائيل، وآتاه الله بعد ذلك النبوة، وأنزل عليه الزبور، وعلمه صنعة الدروع، وعلوم الدين، وفصل الخطاب كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

هذا ملخص ما دلت عليه الآيات الكريمة، وأما العبرة من هذه القصة وتدبرها فهي أن الذي تجب له القيادة من يتمتع بالكفاءة العلمية والخلقية، لا صاحب الحسب والنسب، والجاه والمال، وأن النصر والغلبة تكون بالصبر والايمان، لا بكثرة العدد، وأن السبيل إلى معرفة الطيب والخبيث هي التجربة والابتلاء.

الايمان في القرآن الكريم

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[1].

الإيمان: عرّفه رسول الله ﷺ بقوله: «الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»[2].

ما هو الفرق بين الإسلام والإيمان.

لقد نفى الله تعالى في هذه الآية الإيمان عن الأعراب وأوضحه بأنه لم يدخل في قلوبهم بعد وأثبت لهم الإسلام، ويظهر به الفرق بين الإيمان والإسلام بأن الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح فإنه الاستسلام والخضوع لساناً بالشهادة على التوحيد والنبوة وعملاً بالمتابعة العملية ظاهراً سواء قارن الاعتقاد بحقية ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن.

وقال رسول الله ﷺ حين سئل ما الإيمان: أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والبعث بعد الموت.

أركان الإيمان:

١ ـ التوكل على الله سبحانه.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج١٣/ص ١٦٥.

٢ ـ التفويض إلى الله عزّ وجلّ.

٣ ـ التسليم لأمر الله تعالى.

٤ ـ الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى.

تأثير كلام الله على المؤمن:

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

إن هذا السؤال بالطبع هو سؤال من لا يجد في قلبه أثراً من نزول القرآن وكأنه يذعن أن قلوب غيره كقلبه فيما يتلقاه فيتفحص عمن أثر في قلبه نزول القرآن كأنه يرى أن النبي ﷺ يدّعي أن القرآن يصلح كل قلب سواء كان مستعداً مهيئاً للصلاح أم لا وهو لا يذعن بذلك وكلما تليت عليه سورة جديدة ولم يجد في قلبه خشوعاً لله سبحانه ولا ميلاً وحناناً إلى الحق زاد شكاً فبعثه ذلك إلى أن يسأل سائر من حضر عند النزول عن ذلك حتى يستقر في شكه ويزيد ثباتاً في نفاقه.

وقد فصل الله سبحانه أمر القلوب وفرقّ بين قلوب المؤمنين والذين في قلوبهم مرض فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهم الذين قلوبهم خالية عن النفاق بريئة من المرض وهم على يقين من دينهم بقرينه المقابلة ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السورة النازلة ﴿إِيمَٰنًا﴾ فإنها بإنارتها أرض القلب بنور هدايتها توجب إشتداد نور الإيمان فيه وباشتمالها على معارف وحقائق جديدة من المعارف القرآنية والحقائق الإلهية وبسطها على القلب نور الإيمان بها توجب زيادة إيمان جديد على سابق الإيمان فالسورة تزيد

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

المؤمنين إيماناً فتنشرح بذلك صدورهم وتتهلل وجوههم فرحاً ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

أفضل المؤمنين:

«أفضل المؤمنين إيماناً من إذا سأل أعطي، واذا لم يعط استغنى»[1].

علامات المؤمن:

«حديث شريف يقول: «علامات المؤمن خمسة»[2].

أ ـ الورع في الخلوة.

ب ـ والصدقة في القلة.

ج ـ والصبر عند المصيبة.

د ـ والحلم عند الغضب.

هـ ـ والصدق عند الخوف.

منازل الإيمان:

يقول رسول الله ﷺ: «إن أعلى منازل الإيمان درجة واحدة من بلغ إليها فقد فاز وظفر، وهو أن ينتهي بسريرته في الصّلاح إلى أن لا يُبالي لها إذا ظهرت وألا يخاف عقابها إذا أُسترت»[3].

(١) سورة ميزان الحكمة: ج١/ ص ٢٢٨.
(٢) ألف حديث في المؤمن: ج١/ ص ٢٢٨.
(٣) أمثال القرآن: ج ٢٢/ ص ٦.

ما هو الإيمان الحقيقي؟.

ورد في حديث شريف ان «الإيمان ما كان في القلب»[1].

درجات الإيمان:

يتفاضل الناس في درجات الإيمان تفاضلا كبير فمنهم المجليّ السباق في حلبة الإيمان ومنهم الواهن المتخلف ومنهم بين هذا وذاك كما صورته الرواية الكريمة.

قال حفيد لرسول الله ﷺ: «إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السُلم يصعد منه مرقاة فلا يقولن صاحب الإثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فأرفعه اليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره».

أنواع الإيمان:

ينقسم الإيمان إلى ثلاثة أنواع: فطري، ومستودع، **وكسبي**.

أ ـ **فالفطري**: هو ما كان هبة إلهية، قد فطر عليه الانسان، كما في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فإنهم المثل الأعلى في قوة الايمان وسمو اليقين، لا تخالجهم الشكوك، ولا تعروهم الوساوس.

ب ـ **المستودع وهو**: ما كان صورياً طافياً على اللسان، سرعان ما تزعزعه الشبه والوساوس كما في حديث شريف: «إن العبد يصبح مؤمناً، ويمسي كافراً ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً وقوم يعارون الايمان ثم يلبسونه ويُسمون المعارين».

(١) ميزان الحكمة: ج١/ ص١٨٩.

وقال عليه السلام: «إن الله تعالى جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً وجبل بعض المؤمنين على الايمان فلا يرتدون أبداً ومنهم من أعير الايمان عارية، فإذا دعا وألح في الدعاء مات على الايمان».

وهكذا تعقب عليه السلام على حديثيه السالفين بحديث ثالث يجعله مقياساً للتمييز بين الايمان الثابت في المستودع فيقول: «إن الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع له أم ضرّ وحين سأل الراوي فبم يُعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك».

قال: «من كان فعله لقوله موافقاً، فأثبت له الشهادة بالنجاح ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع».

ج ـ **الكسبي**: وهو الايمان الفطري الطفيف الذي نمّاه صاحبه واستزاد رصيده حتى تكامل وسمى إلى مستوى رفيع وله درجات ومراتب.

* بعض الواصايا والنصائح الباعثة على صيانة الجزء الفطري من الايمان وتوفير الكسبي منه:

١ ـ **مصاحبة المؤمنين الأخيار**، ومجانبة الشقاة والعصاة فإن الصاحب متأثر بصاحبه ومكتسب من سلوكه وأخلاقه كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

٢ ـ **ترك النظر والاستماع إلى كتب الضلال** وأقوال المضللين المولعين بتسميم أفكار الناس وحرفهم عن العقيدة والشريعة الاسلاميتين وإفساد قيم الايمان ومفاهيمه في نفوسهم.

٣ ـ **ممارسة النظر والتفكر في مخلوقات الله عزّ وجلّ**، وما اتصفت به

من جميل الصنع ودقة النظام، وحكمة التدبير الباهرة المدهشة ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[1].

٤ ـ **ومن موجبات الايمان** وتوفير رصيده جهاد النفس وترويضها على طاعة الله تعالى وتجنب معاصيه لتعمر النفس بمفاهيم الايمان وتشرق بنوره الوضّاء فهي كالمال الزلال، لا يزال شفافاً رقراقاً ما لم تكدره الشوائب فيغدو آنذاك آسناً قاتماً لا صفاء فيه ولا جمال، ولولا صدأ الذنوب وأوضار الآثام التي تنتاب القلوب والنفوس فتجهم جمالها وتخبىء أنوارها لاستنار الأكثرون بالايمان، وتألقت نفوسهم بشعاعه الوهاج ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[2].

ما هو تمام الايمان ونقصه؟

الجواب: روي عن حفيد لرسول الله ﷺ: في حديث طويل يذكر فيه تمام الايمان، قال: قلت: قد فهمت نقصان الايمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ وقال: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[3].

ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر، لأستوت النعم فيه، لاستوى الناس وبطل التفضيل

(١) سورة الذاريات الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.
(٢) سورة الشمس الآيات: ٧ ـ ١٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣.

ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله وبالنقصان دخل المفرطون النار.

ومن قصص الايمان:

روي أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض مسيره فقال لأصحابه: يطلع عليكم من بعض هذه الفجاج شخص ليس له عهد بأنيس منذ ثلاثة ايام، فما لبثوا أن أقبل أعرابي قد يبس جلده على عظمه وغارت عيناه في رأسه واخضرّت شفتاه من أكل البقل، فسأل عن النبي ﷺ في أول الرفاق حتى لقيه فقال له أعرض عليّ الاسلام.

فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله.

قال: أقررت.

قال ﷺ: تصلي الصلوات وتصوم شهر رمضان.

قال: أقررت.

قال ﷺ: تحج بيت الله الحرام وتؤدي الزكاة...

قال: أقررت.

فتخلف بعير الأعرابي ووقف النبي ﷺ فسأل عنه مرجع الناس في طلبه فوجدوه في آخر العسكر قد سقط خفّ بعيره في حفرة من حفر الجرذان فسقط فاندقّ عنق الأعرابي وعنق البعير وهما ميتان، فأمر النبي ﷺ فضربت خيمة فغسّل فيها ثم دخل النبي فكفّنه فسمعوا للنبي ﷺ حركة فخرج وجبينه يترشح عرقاً وقال: إن هذا الأعرابي مات وهو جائع وهو ممن آمن ولم يلبس ايمانه بظلم فابتدكرته الحور العين بثمار الجنة يحشون بها شدقه، هذه تقول يا رسول الله اجعلني في أزواجه وهذه تقول يا رسول الله اجعلني في أزواجه.

الدعاء إلى الله بالتوفيق للإيمان:

«ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار».

التقوى في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1].

لقد حارب الإسلام العصبية والعنصرية الجاهلية بكل أشكالها والوانها وفي أية صورة ليجمع المسلمين في العالم من أي قوم وقبيلة وعرق تحت لواء واحد لا لواء القومية ولا سواه لأن الإسلام لا يوافق على هذه النظريات المحدودة.. التي يسعى إليها الناس أكثرهم..

ثم أن معرفة معيار القيم التي يسعى إليها الناس تختلف باختلاف الثقافات وربما أخذت القيم الكاذبة مكاناً بارزاً ولم تبق للقيم الحقة من مكان فجماعة ترى بأن قيمتها الواقعية في الانتساب إلى العائلة المعروفة والطائفة كذلك، ولذلك فإنهم من أجل أن تعلوا سمعة عائلتهم وطائفتهم.. يظهرون نشاطات وفعاليات عامة ليكونوا برفعة العائلة والطائفة..

ولكن ما أحسن أن يبنى المجتمع على أساس معيار القيم الاسلامية ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ وأن تطوى القيم الكاذبة من قومية ومال وثروه ومناطقية وطبقية من هذا المجتمع..

أجل التقوى الالهية والاحساس بالمسؤولية الداخلية والوقوف

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

بوجه الشهوات والالتزام بالحق والصدق والطهارة والعدل فهذه وحدها معيار القيم الانسانية... وسيأتي بيان مكانة التقوى في القرآن إنشاء الله تعالى.

مفهوم التقوى:

التقوى من الوقاية، بمعنى الحفظ أو التحفظ والامتناع والصيانة وشرعاً: بمعنى عقل النفس ومنعها عن كل ما تسوء وعاقبته وذلك بالامتناع عن مخالفة الخالق تبارك وتعالى في الأوامر والنواهي.

بمعنى آخر امتثال أوامر الله واجتناب ما نهى عنه.

والمتقون: هم الذين تقبلوا الإسلام في جميع أبعاده وقد شبه عبد الله بن المعتز التقوى بحالة رجل يسير على طريق شائكة، ويسعى إلى أن يضع قدمه على الأرض بتأنٍ وحذر، كي لا تأخذه الأشواك، أو تتعلق بثيابه، يقول:

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى.
واصنع كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى.
لا تحقرنّ صغيرة ... إن الجبال من الحصى.

هذا التشبيه يفيد أيضاً أن التقوى لا تعني العزلة والانزواء عن المجتمع، بل تعني دخول المجتمع وخوض غماره، مع الحذر من الاصابة بلوثته إن كان المجتمع ملوثاً.

بشكل عام، حالة التقوى والضبط المعنوي، أوضح آثار الايمان بالله واليوم الآخر، ومعيار فضيلة الانسان وافتخاره ومقياس شخصيته في الإسلام حتى أضحت الآية السابقة شعاراً إسلامياً خالداً.

التقوى وفوائدها كما يشير القرآن الكريم:

١ ـ **التقوى وصية الله تعالى لبني آدم** في تمام الكتب السماوية، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[١].

٢ ـ **التقوى سبب الحفظ والحصانة من كيد الشياطين** كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[٢].

٣ ـ **التقوى مورد مدح الله تعالى وثنائه** كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

٤ ـ **التقوى سبب العون والتأييد الالهي في كل الأمور** كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾[٤].

٥ ـ **التقوى سبب النجاة والرزق الحلال** من حيث لا يتوقع الشخص. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٥].

٦ ـ **بسبب التقوى يطهر الله تعالى عمل العبد من النقص والعيب** كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٦].

٧ ـ **التقوى سبب مغفرة الذنوب**: يقول تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٧].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٣١ ـ ٨٦.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٦) سورة الاحزاب، الآيتان: ٧٠ ـ ٧١.
(٧) سورة الاحزاب، الآية: ٧١.

٨ ـ **التقوى سبب محبة الله**: تعالى يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٩ ـ **التقوى سبب زيادة العز والكرامة عند خالق العالم**: يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١].

١٠ ـ **التقوى سبب إفاضة نور المعرفة والعلم**: بحيث يستطيع المؤمن أن يميز بين الحق والباطل يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٢].

١١ ـ **التقوى سبب بشارة الملائكة ساعة الموت**: كما يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٣].

١٢ ـ **التقوى سبب الخلاص من العذاب**: يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾[٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٥].

يفهم بوضوح ان التقوى هي سبيل نجاة الانسان من النار والعذاب الالهي وهي سبيل فلاحه في الدنيا والآخرة ويقول عزّ وجلّ في كتابه المجيد أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٦].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة الانفال، الآية: ٢٩.
(٣) سورة يونس ،الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ٧٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٨.
(٦) سورة الاعراف، الآية: ٩٦.

نعم فالذنوب هي التي تقيد الانسان وهي التي تمنع أنعم الله.

١٣ ـ **التقوى سبب قبول الأعمال**: يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]، إلى غير ذلك من الفوائد للتقوى التي نستفيدها من القرآن الكريم.

اختصاص هداية القرآن للمتقين:

يقول سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[٢] لماذا خصت الآية القرآنية المتقين بالهداية مع أن القرآن هداية للعالمين للبشرية جمعاء.

السبب هو أن الانسان لا يتقبل هداية الكتب السماوية ودعوة الأنبياء، ما لم يصل إلى مرحلة معينة من التقوى وهي مرحلة التسليم أمام الحق وقبول ما ينطبق مع العقل والفطرة بعبارة أخرى الناس على قسمين:

قسم يبحث عن الحق ويحمل مقداراً من التقوى يدفعه لأن يقبل الحق أنى وجده.

وقسم لجوج متعصب قد استفحلت فيه الأهواء ولا يبحث عن الحق بل يسعى في إطفاء نوره حيثما وجده ومن المسلم به أن أفراد القسم الأول هم الذين يستفيدون من القرآن وقول الحق.

خصائص خمس للمتقين:

ثم يتابع الله عزّ وجلّ فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١ ـ ٢.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[1].

لقد طرحت الآيات هذه خمس خصائص للمتقين وهي على الشكل التالي:

١ ـ الايمان بالغيب.

٢ ـ الارتباط بالله سبحانه من خلال الصلاة.

٣ ـ الارتباط بالناس من خلال ما ينفقون من أموالهم.

٤ ـ الايمان بجميع الأنبياء وبرسالاتهم الالهية.

٥ ـ الايمان بيوم القيامة.

كل عمل لا بد أن يقترن بالتقوى:

يقول الله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

النظرة القرآنية تجاه الأعمال تؤكد صراحة ان العمل المرتكز على التقوى يحظى بمباركة الله تعالى ورضاه ورضا رسوله ﷺ، على العكس من العمل الذي لا يرتكز على التقوى فإنه لن يحقق شيئاً وإن كان في الظاهر جيد.

فقد شبهت الآية الكريمة العمل الذي لا يرتكز على التقوى ببناء

(١) سورة البقرة، الآية: ٢ ـ ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

يقام على حافة جرف هارٍ يقع في مجرى الطوفان فهل يمكن لهكذا بناء أن يصمد ويقاوم الطوفان؟ فمن يرتكب الذنوب كالغيبة والكذب والاهانة المتبادلة والطعن واثارة الشائعات والتهاون اتجاه الفرائض وغيرها من الذنوب شخص لا يستند على أساس قوي ولا ثابت وهي شبيهة إلى حد بعيد ببناء يقام على شفا جرف هارٍ.

فكل عمل لا يستند على التقوى لن يحظى برضا الله سبحانه وقبوله فتنبه.

أوصاف أخرى للمتقين:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: إن المتقين الذين يتقون الله من الشيء الذي لا يُتّقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة.

وروي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً فقال: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين، حتى كأني انظر اليهم.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٥ ـ ١٩.

فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب..فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتحمّلاً في فاقة، وصبراً في شدة وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجلٍ يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمّه الذكر يبيت حذراً، ويصبح فرحاً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة.

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل. تراه قريباً أمله قليلاً زللُهُ، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منذوراً أكله سهلاً أمره حريزاً دينه ميتة شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمولٌ والشر منه مأمون[1].

قصة بلال الحبشي والمقياس الحقيقي للانسان:

يذكر أن النبي ﷺ أمر بلالاً بعد فتح مكة أن يؤذن فصعد بلال وأذن على الكعبة فقال «عتاب بن أسيد» الذي كان من الأحرار: أشكر الله أن مضى أبي من هذه الدنيا ولم ير مثل هذا اليوم.

(١) نهج البلاغة: الخطبة / ٩٣.

وقال «الحارث بن هشام» أيضاً ألم يجد رسول الله غير هذا الغراب الأسود للأذان؟! فنزلت الآية السابقة وبينت معيار القيم الواقعية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1].

نسأل الله سبحانه الايمان والتقوى والورع إنه خير مجيب ومعين

والسلام عليكم ورحمة الله

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

العبادة في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

إذا راجعنا القرآن الكريم نجد مجموعة كبيرة من الأوامر العبادية سواء الاعتقادية كتوحيد الله سبحانه أو البدنية كالصلاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك من الأعمال التي تعد من العبادات.. ويكون القيام بها عبادة ايضاً.

ولا بد أن تكون هذه العبادة خالصة لله سبحانه وحده لأنه هو المالك الحقيقي للموجودات ومنها العباد فهي تحت تصرفه ومحتاجة إليه سبحانه ومرتبطة به في جميع شؤونها الوجودية.

يقول الله سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2].

على ضوء ذلك يكون الانسان بل وجميع الموجودات في عالم الخلق وحتى الكفار والمشركون عبيداً لله تعالى واقعاً وحقيقة وهي مسلمة وخاضعة أمام إرادة الله وقوانينه الحاكمة على الكون، يقول سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[3].

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣.

ومن هنا نفهم ويتوضح لنا عبودية الانسان التكوينية لله سبحانه..

ومن هذا الطريق يمكننا الوصول إلى معنى العبادة التشريعية ووجوب الطاعة لله سبحانه باعتبار أنه مالك لنا فله الحق في إصدار القوانين والتشريعات وعلى العباد أن يظهروا لله سبحانه غاية الخضوع ونهاية التذلل والعبودية، وأن يسلموا لأوامره ودساتيره تسليماً مطلقاً وخالصاً.

ومن هنا فإن العبادة والخضوع والتذلل وإظهار العبودية لغير الله لا يجوز على الاطلاق كان من كان ذلك الغير وكان ما كان الشيء المعبود وبناءً على ذلك لا يليق غير الله سبحانه للعبادة والمعبودية ولا يستحقها سواه ولهذا كان جميع الأنبياء يدعون الناس إلى عبادة الله عزّ وجلّ الواحد وينهون عن عبادة غيره يقول الله سبحانه في هذا المجال: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾[1].

إذن فالعبادة من خلال الصلاة والحج وغير ذلك لو أتى بها لغير الله سبحانه كان شركاً أو حراماً وسنوضح ذلك من خلال الآيات القرآنية انشاء الله تعالى.

مفهوم العبادة:

العبادة: الطاعة وهي غاية الخضوع والتذلل. ولذلك لا تحسن إلا لله تعالى الذي هو مولى أعظم النعم فهو لائق بغاية الشكر.

قال الحكماء: عبادة الله ثلاثة أنواع:

الأول: ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد

(١) سورة هود، الآيتان: ١ ـ ٢.

الله سبحانه وما يستحقه من الثناء والتمجيد والفكر فيما أفاضه الله سبحانه على العالم من جوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف..

الثاني: ما يجب على الأبدان كالصلاة والصيام والسعي في المواقف الشريفة لمناجاته جل ذكره.

الثالث: ما يجب عند مشاركات الناس في المدن وهي المعاملات والمزارعات وتأدية الأمانات ونصح البعض للبعض بضروب المعاونات وجهاد الأعداء والذب عن الحريم.

والعبد الذي هو أيضاً مشتق من هذه المادة يطلق على من يكون مملوكاً للغير ينفذ أوامره ويبدي له غاية التسليم ويعطيه الحق في أن يتدخل في جميع شؤونه ويخضع امامه غاية الخضوع ويتذلل له نهاية التذلل. ولهذه المناسبة يُطلق وصف العبد على الانسان ويعتبر الجميع عبيد لله تعالى لأنهم جميعاً مملوكون لله سبحانه.

دعوة الأنبياء إلى عبادة الله سبحانه:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[1].

يعني بعثنا في كل جماعة وقرن رسولاً كما بعثناك يا محمد رسولاً إلى امتك لتقول لهم اعبدوا الله سبحانه واجتنبوا عبادة الطاغوت أي الشيطان ويقول الله سبحانه في هذا السياق ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[2].

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ...﴾[4].

العبادة غاية الخلق:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5].

يعني لم أخلق الجن والانس إلا لعبادتي فإذا عبدوني استحقوا الثواب. فالله سبحانه لا تنفعه طاعة من اطاعه ولا تضره معصية من عصاه وإنما المستفيد والمتضرر هو المكلف.

دعوة أهل الكتاب إلى عبادة الله سبحانه:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[6].

يقول المفسرون في ذيل تفسير هذه الآية إن (عدي بن حاتم) الذي

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.
(٢) سورة الاعراف، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الاعراف، الآية: ٥٩.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.
(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

كان نصرانياً ثم اسلم عندما سمع هذه الآية فهم من كلمة «أرباب» أن القرآن يقول إن أهل الكتاب يعبدون بعض علمائهم، فقال للنبي ﷺ: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، فقال ﷺ: أما كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟ فقال نعم، فقال النبي ﷺ: هو ذاك.

العبادة على حرف:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[1].

يعني على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف أي طرف حبل..ذكر أن الآية نزلت في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة فكان أمرهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه وإن اصابه وجع في المدينة وولدت امرأته جارية قال ما أصبت في هذا الدين إلا شراً " عن ابن عباس.

ضرورة استمرارية العبادة لله سبحانه:

يقول الله سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2].

يعني إلى أن يأتيك الموت.. فقد أمر بالاقامة على العبادة أبداً ما دام حياً فإذا لقي الله سبحانه لقيه عابداً له لا لغيره.

الصلاة من أفضل العبادات:

يقول الله سبحانه: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾[3].

(١) سورة الحج، الآية: ١١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة ابراهيم، الآية: ٣١.

إن الانسان المسلم يفرّغ نفسه كل يوم عدة مرات من الأعمال الدنيوية اليومية.. ويتوجه إلى ربه الكريم ويستمد منه العون والمدد فيتوضأ ويشتغل بالصلاة ويقيم اتصالاً مباشراً مع خالق الأرض والسماء ويكلمه ويتحدث إليه... ويقف في كمال الخضوع والتواضع بين يدي رب العالمين.

ويتوجه إليه بقلبه، ويظهر له العبودية، وينير فؤاده بذكر الله سبحانه ويجليه من صدأ الغفلة والغفوة.

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أهمية وقيمة هذه العبادة الكبرى..

الصوم من العبادات الكبرى:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1].

إن الصوم يحظى من بين العبادات الاسلامية بمكانة متميزة جداً وقد وردت حوله روايات عديدة منها عن رسول الله ﷺ: الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغتب مسلماً، هذه العبادة تتحقق بأن يمسك الانسان عن الأكل والشرب وغيرها من المفطرات.. من طلوع الفجر إلى المغرب بقصد الصوم.

الحج أيضاً من العبادات الكبرى:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾.

فالحج من الفرائض والواجبات الالهية التي عدّت من أركان الإسلام.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

الانفاق في سبيل الله سبحانه:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

لقد حث القرآن وأكد وبالغ في الدعوة إلى الانفاق في سبيل الله عزّ وجلّ وقد تكرر الطلب لذلك في أكثر من آية.

الزكاة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2].

الله سبحانه يأمر الغني بدفع الزكاة لينتفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره اداءً لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربه، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلة لأنه أخذ الحق الواجب من مالكه وخالقه، وفي ذلك غرس بذور المحبة بين الفقير والغني.

الاخلاص في العبادة:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[3].

يقول الله سبحانه للنبي قل للناس إنني جعلت صلاتي ومطلق عبادتي ومحياي ومماتي.. جعلتها كلها لله رب العالمين من غير أن أشرك به فيها أحداً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الانعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣.

يستفاد من هذه الآية الشريفة عدة أمور من ضمنها وجوب الاخلاص في عبادة الله سبحانه.

عبادة النبي ﷺ:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[1].

يعني ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب ولكن لتستعد به ولتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة.. قال قتادة كان يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه.

وعن علي عليه السلام لما نزل على النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[2]، قال الليل كله حتى تورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً فهبط عليه جبريل وقال ﴿طه﴾ الأرض بقدميك يا محمد ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ «وأنزل» ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾.

وروي أنه: كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟.

فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً.

التشريع للعبادة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾[3]

(١) سورة طه الآيتان: ١ ـ ٢.
(٢) سورة المزمل، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٣) سورة الاحزاب، الآية: ٣٦.

إن مصاديق العبادة وكيفيتها لا يعينها إلا الله عزّ وجلّ والنبي ﷺ ولا يحق لأحد أن يشرّع أو يخترع من لدن نفسه عبادة، فكيف ومن أين يستطيع الانسان أن يعرف أي عمل يوجب التقرب إلى الله سبحانه ويورث كمال النفس ويستوجب السعادة الأخروية؟.

إنه لا طريق إلى مثل هذا الأمر إلا الاستفادة من هدايات الله تعالى وارشادات النبي ولهذه الجهة يعتبر تشريع العبادة من غير هذا الطريق بدعة وحراماً.

والبدعة في الدين بمعنى جعل عبادة أو حكم من دون الاستناد إلى القرآن والسنة النبوية الشريفة ونسبته إلى الإسلام من المحرمات والمعاصي الكبيرة التي نهى عنها نهياً شديداً وقاطعاً قال ﷺ: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

قصة الاعتدال في العبادة:

قال المفسرون جلس رسول الله ﷺ يوماً فذكر الناس ووصف القيامة فرّق الناس، وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمعي... واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء، والطيب، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا وهمّ بعضهم أن يجب مذاكره، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لإمرأته أم حكيم بنت أبي أمية: أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟.

فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك، فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان أخبرته بذلك، فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه فقال لهم: الم انبأ أنكم أتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا

رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال رسول الله ﷺ أني لم اومر بذلك، ثم قال: ان لانفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا وقوموا، وناموا فإني أقوم، وأنام، واصوم، وأفطر وأكل اللحم، والدمم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع الناس وخطبهم وقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم، وشهوات الدنيا، أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم، ولا النساء، ولا اتخاذ الصوامع وأن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، أعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله تعالى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

عبادة الأحرار:

العبادة ثلاثة كما ورد وأفضلها هي عبادة الأحرار فعن علي عليه السلام قال: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وأن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وأن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

اللهم وفقنا لعبادتك والالتزام بطاعتك
وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين
آمين ربّ العالمين

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٧ ـ ٨٨.

خصائص المؤمنين في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[1].

في هذه الآيات ذكر الله تعالى للمؤمنين خمس صفات اختارها من بين جميع صفاتهم التي ذكرها في كلامه لكونها مستلزمة لكرائم صفاتهم على كثرتها وملازمة لحق الايمان، وهي بحيث إذا تنبهوا لها وتأملوها كان ذلك مما يسهل لهم توطين النفس على التقوى وإصلاح ذات بينهم وإطاعة الله ورسوله.. وهذه الصفات الخمس هي:

١ ـ وجل القلب عند ذكر الله تعالى.

٢ ـ زيادة الايمان عند استماع آيات الله تعالى.

٣ ـ التوكل على الله تعالى.

٤ ـ إقامة الصلاة.

٥ ـ الانفاق مما رزقهم الله سبحانه.

ومعلوم أن الصفات الثلاثة الأولى من أعمال القلوب، والأخيرتان من أعمال الجوارح.

(١) سورة الانفال، الآيتان: ٢ ـ ٤.

والمؤمنون حقاً لهم إيمان حي ينمو غرسه يوماً بعد يوم بسقيه من آيات الله سبحانه، وتتفتح أزهاره وبراعمه ويؤتي ثماره أكثر فأكثر فهم ليسوا كالموتى من الجمود وعدم التحرك، ففي كل يوم جديد يكون لهم فكر جديد وتكون صفاتهم مشرقة وجديدة.

مفهوم الايمان:

الايمان: من آمن ويؤمن إيماناً (لغة) هو التصديق، ويستعمل أيضاً بمعنى الملتزم بأحكام الله تعالى فيكون بمعنى الهداية..

وفي الاصطلاح القرآني الايمان هو الإسلام لأن فيه تصديق بالله سبحانه ورسوله ﷺ. أيضاً ذكر أن الايمان هو إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب.

بين الايمان والاسلام:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1] ـ فالايمان معناه التصديق وهذا موضوع يحتاج الناس فيه إلى تفهيم وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، والاسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ وبه يحقن الدم فإن كان مع ذلك الاظهار إعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله سبحانه ورسوله ﷺ غير مرتاب ولا شاك وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وما له واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن وهو

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

المسلم حقاً وكما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] أي أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون. فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق فذلك الذي يقول أسلمت لأن الايمان لا بد من أن يكون صاحبه صديقاً. لأن قولك آمنت بالله: أوقال قائل آمنت بكذا وكذا فمعناه صدّقت فأخرج الله سبحانه هؤلاء من الايمان فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي لم تصدّقوا إنما أسلمتم تعوّذاً من القتل، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة مؤمن بها والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقة إلاّ أن حكمه في الظاهر حكم المسلم.

عن رسول الله ﷺ ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنّ الايمان ما خلص في القلب وصدّقه الاعمال.

المؤمنون في سورتهم:

يذكر الله عزّ وجلّ للمؤمنين خصائص وأوصاف في سورة «المؤمنون» يقول سبحانه ﴿۞ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١ ـ ١١.

هذه الآيات تشير إلى فوز المؤمنين بثواب الله سبحانه وتصفهم بأوصاف هي أنهم:

١ ـ خاضعون في صلاتهم متواضعون متذللون لا يرفعون ابصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً.

٢ ـ معرضون عن اللغو الذي هو في الحقيقة كل قول أو فعل لا فائدة فيه يعتد بها..

٣ ـ مؤدون للزكاة.

٤ ـ حافظون لفروجهم إلا على أزواجهم.

٥ ـ حافظون ووافون لعهدهم وأماناتهم.

٦ ـ يحافظون على صلواتهم ويقيمونها في أوقاتها ولا يضيعونها وإنما أعاد ذكر الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها وعلو رتبتها عنده تعالى.

فمن اجتمعت فيهم هذه الخلال والصفات فهم الوارثون يوم القيامة منازل أهل الجنة.

من خصائص المؤمنين أيضاً:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

في هذه الآية وصف الله سبحانه «المؤمنين والمؤمنات بضد أوصاف المنافقين والمنافقات وهي بالاجمال على الشكل التالي:

١ ـ بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم صاحبه وموالاته حتى أن

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

المرأة تهيء أسباب السفر لزوجها إذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم بالحق.

٢ ـ يأمرون بما اوجب الله تعالى فعله أو رغب الله سبحانه فيه عقلاً وشرعاً.

٣ ـ وينهون عما نهى الله عزّ وجلّ عن فعله وزهد فيه عقلاً وشرعاً.

٤ ـ و ٥ ـ يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعها حيث أمر الله تعالى.

٦ ـ يمتثلون طاعة الله سبحانه ورسوله ﷺ ويتبعون إرادتهما ورضاهما، هؤلاء الذين هذه هي صفاتهم لهم مساكن طيبة ويرحمهم الله تعالى في الآخرة وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

المؤمن المجاهد:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

لقد وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الأنفس والأموال بأوصاف وهي على الشكل التالي:

١ ـ الراجعون إلى طاعة الله تعالى والمنقطعون إليه النادمون على ما فعلوه من القبائح.

٢ ـ انهم يعبدون الله سبحانه وحده ويتذللون له بطاعته في أوامره ونواهيه.

٣ ـ يحمدون الله عزّ وجلّ على كل حال.

٤ ـ الصائمون أو الطالبون مشاهدة آثار عظمة الله سبحانه عن طريق السياحة في الأرض.

٥ ـ المؤدون للصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود.

٦ ـ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

٧ ـ القائمون بطاعة الله سبحانه.

٨ ـ فقد أمر الله سبحانه النبي ﷺ أن يبشر المؤمنين الذين هذه هي صفتهم أن لهم الثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف.

نور الايمان:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾[1].

إعلم أن الايمان يعتبر من الكمالات الروحانية التي غفل الكثيرون عن حقيقتها النورانية، والايمان منشأ كل الخيرات والترقيات، وإذا دخل

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

الايمان بالله تعالى والعمل من أجل الله سبحانه، في النشاطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية خصوصاً ضد العدو الصهيوني الغاصب لأرضنا وسائر شؤون الحياة البشرية فإن أكثر مشاكل العالم تعقيداً ستحل بسهولة إنشاء الله تعالى.

حقيقة المؤمن في الحديث:

عن رسول الله ﷺ: الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالأركان[1].

وعنه ﷺ: لا يؤمن عبد حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير[2].

وعن علي عليه السلام المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدراً وأذل شيء نفساً يكره الرفعة، ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته، مشغول وقته، شكور، صبور، مغمور بفكرته، ضنين بخلته سهل الخليقة لين العريكة نفسه أصلب من الصلد وهو أذل من العبد[3].

قصة حارثة مع رسول الله ﷺ:

استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني انظر إلى

(١) جامع الأخبار/ ج ٦/ ص ٦.
(٢) ميزان الحكمة/ ج ١/ ص ١٩٣.
(٣) نهج البلاغة/ ج ٤.

أهل الجنة (في الجنة) وكأني أسمع عواء أهل النار في النار فقال له رسول الله ﷺ «عبد نوّر الله قلبه أبصرت فاثبت».

فقال: يا رسول الله: أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك فقال ﷺ: اللهم ارزق حارثة الشهادة فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ﷺ سرية فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثم قتل.

الكافرون في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[1].

بعد أن بيّن سبحانه أوصاف المؤمنين المتقين وخصائصهم وهي: الايمان بالغيب، والارتباط بالله سبحانه من خلال الصلاة، والارتباط بالناس من خلال الانفاق في سبيل الله تعالى، والايمان بالأنبياء وبيوم القيامة، تحدث بعد ذلك عن الكفار المعاندين بإختصار وبين صفاتهم:

فالآية الأولى: بيّنت أن الانذار لا يجدي نفعاً مع هؤلاء فهم متعنتون في كفرهم، هذه المجموعة غارقة في ضلالها وترفض الانصياع للحق حتى لو اتضح لديها من هنا كان القرآن غير مؤثر في هؤلاء وهكذا الوعد والوعيد، لأنهم يفتقدون الأرضية اللازمة لقبول الحق والاستسلام له ثم في الآية الثانية تشير إلى سبب هذا اللجاج والتعصب والعناد وتبين أن أجهزة استقبال الحقائق معطوبة عند هؤلاء، العين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والأذن التي يسمعون بها نداء الحق والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطلت وتوقفت عن العمل لدى الكافرين فهم كما قال الشاعر:

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٦ ـ ٧.

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي.

فالكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع.

هؤلاء لهم عيون وآذان وعقول ولكنهم يفتقدون قدرة الرؤية، والادراك والسمع لأن إنغماسهم في الانحراف وعنادهم ولجاجهم كلها عناصر تشكل حجاباً أمام أجهزة المعرفة.

الانسان قابل للهداية طبعاً إن لم يصل إلى هذه المرحلة ـ مهما بلغ به الضلال أما حينما يبلغ درجة يفقد معها حسّ التشخيص «فلات حين مناص» لأنه افتقد أدوات الوعي والفهم، ومن الطبيعي أن يكون في انتظاره عذاب عظيم».

والقرآن الكريم تحدث عن الذين كفروا والكفار والكافرين.. في الكثير من الآيات القرآنية ونحن نشير هنا إلى بعضها بعد إيضاح المفهوم.

مفهوم الكفر:

الكفر خلاف الشكر كما أن الحمد خلاف الذم، فالكفر ستر النعمة وإخفاؤها والشكر نشرها وإظهارها وكل ما ستر شيئاً فقد كفره قال لبيد:

«وفي ليلٍ كفر النجوم غمامها»

ومادة الكفر لها عدة معاني:

١ ـ الجحود: هو إنكار وجود الله تعالى شأنه.

٢ ـ الكفر بالألوهية: كأن يعتقد أن الله عزّ وجلّ موجود إلا أنه ليس بإله.

٣ ـ الكفر بالنبوة أو المعاد بأن لا يعتقد بهما.

٤ ـ الكفر بكل ضرورة يؤدي الانكار بها إلى إنكار رسالة محمد ﷺ، الضرورات هي التشريعات البديهية الواضحة التي لا تقبل الشك كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك.

٥ ـ الشك في هذه الأمور المتقدمة.

٦ ـ الارتداد:

والمرتد: هو المسلم المنكر لله سبحانه والرسول أو لضرورة من ضروريات الدين الذي يرجع إلى إنكار الله تعالى والرسول ﷺ.

وهو إما فطري: وهو الذي يولد من أب أو أم أو أبوين مسلمين ويكون مسلما ثُم يكفر، أو مِلِيّ: وهو الذي كان كافراً ثم اسلم ثم عاد إلى الكفر.

٧ ـ الكفر الذي لا يؤدي إلى الانكار ويراد به الكفر بالنعمة: وهو عدم الشكر عليها قال ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[1].

٨ ـ كفر البداءة: هو كقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ كفرنا بكم أي تبرأنا منكم وكذا من قال: إني بريء من الله.

الخلاصة: أنه يمكن تقسيم الكفار إلى عدة أنواع:

١ ـ الملحدون المنكرون لوجود الله سبحانه.

٢ ـ المشركون والوثنيون الذين يسندون التأثير في الكون أو إدارة العالم وتدبيره لغير الله تعالى من الموجودات، ويصلّون ويسجدون ويقربون القرابين لغير الله عزّ وجلّ.

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

٣ ـ منكر المعاد وحياة ما بعد الموت.

٤ ـ منكرو نبوة رسول الإسلام ﷺ، ومن هذا الصنف اليهود...

٥ ـ المنكر لضروري من ضروريات الدين، بحيث يؤدي إلى إنكار الله تعالى أو النبي.

إن جميع هذه الطوائف كفرة تترتب عليهم أحكام الكفر أما بقية الطوائف أعرضنا عن ذكرها في الخلاصة.

خمسة معتقدات من جحدها فهو ضال:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[1].

هذه الآية تأمر الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله سبحانه ورسوله أن يؤمنوا في الباطن ليوافق باطنهم ظاهرهم وأن يؤمنوا بالقرآن والتوراة والانجيل الذي أنزل من قبل.

ومن يجحد الله تعالى، وملائكته وكتبه وينكر رسله واليوم الآخر، فقد ذهب عن الحق وضلّ ضلالاً بعيداً.

الجاحد لله سبحانه ورسوله ﷺ في السعير:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾[2].

يعني اعتدنا ناراً تسعرهم وتحرقهم لمن لا يؤمن بالله تعالى ورسوله.

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٣.

الشرك بالله:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

تشير الآية إلى من يدعي إلهاً آخر لا دليل عليه ولا حجة له فيما يدعيه فلا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله تعالى والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور وفي هذا السياق يقول الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2].

إنكار النبوة كفر:

يقول الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3].

الآية تشير إلى قول الكفار للرسول ﷺ لست مرسلاً من جهة الله تعالى إلينا قل لهم كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما أظهر من الآيات وأبان من الدلالات على نبوتي.

النار حق:

يقول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[4].

يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه فيقولون بلى اعترفوا بذلك وحلفوا عليه بعدما كانوا منكرين.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٤.

إنكار الكفار ليوم القيامة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾[1].

تشير هذه الآية إلى إنكار الكفار للبعث والنشور والحشر والحساب وقالوا لا حياة لنا في الآخرة وإنما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا ولسنا بمبعوثين بعد الموت يقول لهم الله سبحانه أو الملائكة بأمره سبحانه عندما يقفون أمام الحقيقة يسألهم أليس الجزاء والحساب والبعث بما كنتم تكفرون.

استحلال الحكم بغير ما أنزل الله كفر:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2].

فمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك فهو كافر.

وروي البراء بن عازب عن النبي ﷺ أن قوله ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وبعده ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ كل ذلك في الكفار خاصة أورده مسلم في الصحيح.

شك الكفار بالقرآن:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾[3] في شك في القرآن حتى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة الذي لا مثيل له في عظم أمره.

---

(١) سورة الانعام، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٥.

عن علي عليه السلام لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا.

وفي حديث: من شك في الله وفي رسوله فهو كافر.

يستفاد من الآية والحديث أن الانسان يصير كافراً بمجرد الشك في الله سبحانه والرسول وإن لم ينكر بلسانه لكن يستفاد من بعض الأحاديث أن الشك إنما يوجب الكفر إذا أنكر بلسانه أيضاً " لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا.

وعلى هذا الأساس لو شك الانسان في وجود الله تعالى أو صفاته أو في رسالة رسول الإسلام أو حول المعاد أو حصلت في قلبه شبهة في هذه الأمور وأكنه ولم يظهر شكه لأحد ولم يعمد إلى إنكارها بل سعى للتحقيق والبحث بغية إزالة شكه فيها لم يحسب من الكفار.

إنكار الكفار لنعمة الله تعالى:

يقول الله سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

اخبر سبحانه عن الكفار أنهم يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم وإكمال عقولهم وخلق أنواع المنافع التي ينتفعون بها. ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها وفي هذا السياق يقول تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2].

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

مصير الكفار:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1] يعني سجنا ومحبساً.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[2].

وقال أيضاً سبحانه: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3].

قصة السلطان الكافر والوزير المؤمن:

يحكى أنه كان في قديم الزمان ملك كافر كان له وزير موحد مؤمن وذات يوم فكر الوزير بطريقة لهداية الملك وحمله على التفكير، فأمر بإقامة بناء فخم في صحراء مقفرة، وامر أن تغرس حوله أنواع الشجر والورود.. وبعد اكتمال البناء والغرس.. مر الملك والوزير في طريقهم إلى القصر بالقرب من ذلك البناء.. فتعجب السلطان وسأل من بنى هذا؟ لقد مررت من هنا كثيراً وما رأيت بناء؟.

فقال الوزير لعله وجد صدفة دون أن يبنيه أحد..

فقال الملك: وهل هذا ممكن أو معقول؟.

قال الوزير: نعم فهنا مجرى السيل ولعل السيل اقتلع الصخور من الجبال وتكسرت في الطريق.. واقتلع الأشجار من الغابة فتقطع بعضها ليصبح أبواباً وبقي البعض الآخر سالماً ليغرس هنا.. والطين احتمله السيل.. وعندما وصل الجميع إلى هنا... انتظم هذا البناء بهذا الشكل.

(١) سورة الاسراء، الآية: ٨.
(٢) سورة الانسان، الآية: ٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

فقال السلطان: ما من عاقل يقبل بهذا الكلام، إن هذا البناء يشهد بأن مهندساً ومعماراً مدركين عاقلين بنياه.. يجب أن تبحث عمن بنى هذا البناء هنا.

قال الوزير: أنت تقول أن العاقل لا يمكنه التصديق بأن بناء كهذا وجد من غير صانع مدرك وعاقل.. فهل هذا البناء أكثر أهمية من بناء جسدي وجسدك وسائر الناس والحيوانات وأنواع النباتات... وعالم الوجود بهذا النظام البديع المحير.. فهل يا ترى يمكن لعاقل أن يقول أن هذا كله وجد صدفة.. وأن ليس له علة ومنشيء مريد، عالم، إرادة وعلماً غير محدودين.

وهكذا استطاع الوزير بهذا العرض الطريف أن يحرك فطرة الملك فأشرق نورها في نفسه وعرف به ربه.

بسم

المنافقون في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ متوعداً المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1].

لقد اهتم القرآن الكريم بأمر المنافقين إهتماماً بالغاً وحمل عليهم حملة عنيفة بذكر مساوي أفعالهم وأكاذيبهم وخدائعهم ودسائسهم والفتن التي اقاموها على النبي ﷺ، وعلى المسلمين، وقد تكرر ذكرهم في السور القرآنية. كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم.

وقد أوعدهم الله تعالى في كلامه أشد الوعيد ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم وإذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وفي الآخرة يجعلهم في الدرك الأسفل من كيدهم ومكرهم وأنواع دسائسهم.. ويكفيك فيهم قوله تعالى لنبيه ﷺ يشير إليهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾[2].

لقد واجهت ثورة الإسلام في عصرها الأول مجموعة من المنافقين فبعد الهجرة المباركة وضعت أول لبنة للدولة الاسلامية في غزوة «بدر» وهذه الانتصارات عرّضت للخطر مصالح زعماء المدينة وخاصة اليهود

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.

منهم، مع أنهم كانوا يبشرون قبل البعثة النبوية المباركة بظهور النبي ﷺ. ولكن الهجرة النبوية بدّدت آمالهم ورأوا أن الجماهير تندفع نحو الإسلام وتنقاد إلى النبي ﷺ حتى عمّت الدعوة ذويهم واقاربهم فلم يروا بدّاً من الاستسلام والتظاهر بالاسلام تجنباً لمزيد من الأخطار الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك فراحوا يخططون خفية للاطاحة بالاسلام.

مفهوم النفاق والمنافقين:

للنفاق مفهوم خاص وآخر عام.

أما الأول: فهو صفة أولئك الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

بمعنى آخر: هو الدخول في الإسلام من وجهٍ والخروج عنه من آخر.

وأما مفهومه العام: فهو يشمل على ازدواجية بين الظاهر والباطن وكل افتراق بين القول والعمل، من هنا قد يوجد في قلب المؤمن بعض ما نسميه «خيوط النفاق» ففي الحديث النبوي الشريف: «ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا إئتمن خان وإن حدث كذب وإذا وعد أخلف».

«فالحديث لا يدور هنا طبعاً عن المنافقين بالمعنى الخاص بل عن الذي في قلبه خيوط من النفاق تظهر على سلوكه بأشكال مختلفة وخاصة بشكل رياء كما جاء في الحديث: الرياء شجرة لا تثمر إلا الشرك الخفي وأصلها النفاق».

ثم أن الله سبحانه وتعالى قسم الناس في القرآن الكريم حسب إرتباطهم بخط الإسلام وعدمه إلى ثلاثة أقسام، وحقيقتهم هي على الشكل التالي:

١ ـ المتقون: وهم الذين تقبلوا الإسلام في جميع أبعاده.

٢ ـ الكافرون: وهم الذين لم يتقبلوا الإسلام في جميع ابعاده، وهم يعترفون بكفرهم، ولا يأبون أن يظهروا عداءهم للاسلام في القول والعمل.

٣ ـ المنافقون: وهم ذوو الشخصيتين: شخصية إسلامية أمام المسلمين وشخصية معادية للاسلام أمام أعداء الدين، شخصيتهم الأصلية هي الكفر طبعاً وإن تظاهروا بالاسلام.

وبعبارة أخرى يطلق المنافقون على معانٍ منها أن يظهر الإسلام ويكنّ(يبطن) الكفر وهو المعنى المشهور، ومنها الرياء، ومنها أن يظهر الحب ويكون في الباطن فاسقاً، وقد يطلق على من يدعي الايمان ولم يعمل بمقتضاه ولم يتصف بالصفات التي ينبغي أن يكون المؤمن عليها فكان باطنه مخالفاً لظاهره.

عشر علامات للمنافقين في سورتهم:

يقول الله سبحانه وتعالى مشيراً إلى عشرة علامات لهم في سورة المنافقين وهي:

١ ـ الكذب الصريح والواضح ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].

٢ ـ الاستفادة من الحلف الكاذب لتضليل الناس ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

٣ ـ عدم إدراكهم الواقع بسبب إعراضهم عن جادّة الصواب وطريق

(١) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٢.

الهداية وبعد تشخيصه ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1].

٤ ـ تمتعهم بظواهر مغرية وألسنة ناعمة تخفي وراءها بواطن مظلمة خاوية فارغة منخورة ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾[2].

٥ ـ الحياة الفارغة في المجتمع ورفضهم الخضوع لمنطق الحق فهم كالخشبة اليابسة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾[3].

٦ ـ يغلب عليهم سوء الظن والخوف والترقب لما ينطوون عليه من نزعة خيانية ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4].

٧ ـ استهزاؤهم بالحق واستهتارهم به ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[5].

٨ ـ الفسق والفجور وارتكاب المعاصي والذنوب ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[6].

٩ ـ يتملكهم شعور بأن لهم كل شيء، وكل الناس في حاجة ماسة إليهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[7].

(١) سورة المنافقون، الآية: ٣.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ٥.
(٤) سورة المنافقون، الآية: ٦.
(٥) سورة المنافقون، الآية: ٧.
(٦) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٧) سورة المنافقون، الآية: ٨.

١٠ ـ يتصورون ويتخيلون دائماً أنهم أعزاء بينما الآخرون أذلة ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

هذا علماً بأن علامات المنافقين لا تنحصر بهذه العلامات، فقد وردت علامات أخرى في القرآن الكريم والروايات ويمكن اكتشاف علامات أخرى من خلال معاشرتهم، ويمكن اعتبار العلامات العشر المذكورة أهم تلك العلامات.

المواصفات الروحية للمنافقين وأعمالهم كما وردت في سورة البقرة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

لقد بين الله سبحانه من خلال هذه الآيات الخصائص الروحية للمنافقين وأعمالهم القبيحة والخطيرة. ولقد أشرنا إلى أن المسلمين واجهوا في عصر انبثاق الرسالة مجموعة لم تكن تملك الاخلاص اللازم

(١) سورة المنافقون، الآية: ٩.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ٨ ـ ١٥.

للايمان ولا القدرة اللازمة للمعارضة، هذه المجموعة المذبذبة ذات الشخصيتين كانت نافذة في صفوف المسلمين، وكانت تشكل خطراً كبيراً على الاسلام، غير أن القرآن بيّن بدقة مواصفاتهم وأعطى للمسلمين معايير حيّة لمعرفتهم في كل زمان ومكان ليحذرهم وهنا بين سبحانه الأمور التالية:

١ ـ بين المفهوم العام للنفاق والمنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ بين أنهم يعتبرون أعمالهم نوعاً من الشطارة والدهاء بينما لا يشعرون هؤلاء أنهم يسيئون بعملهم هذا إلى أنفسهم والذي لا يجنون منه إلا الخسران والعذاب الالهي ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

٣ ـ بين سبحانه أن النفاق في حقيقته نوع من المرض لأن الانسان السالم له وجه واحد فقط وفي ذاته إنسجام كامل بين الروح والجسد لأن الظاهر والباطن والروح والجسم يكمل أحدهما الآخر: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[1].

٤ ـ بين بأنهم يظهرون أنهم يمارسون الاصلاح بينما هم يتحركون على خط التخريب والفساد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[2].

٥ ـ بين أنهم يعتبرون المؤمنين سفهاء وبسطاء وأما هم فإعتقادهم بأنفسهم أنهم ذوو عقل وتدبير ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ

(١) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ١١ ـ ١٢.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

٦ ـ بين أن من علاماتهم أنهم يتلونون بألوان معينة تبعاً لما تفرضه عليهم مصالحهم فهم انتهازيون يظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم من الشياطين ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ فكان رد القرآن عليهم ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾[2].

ثم بين سبحانه مصير هؤلاء المنافقين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فقد أوضحت المصير الأسود المظلم لهؤلاء المنافقين وخسارتهم في سيرتهم الحياتية الضالة.

وصفهم سبحانه بأنهم كسالى يُراؤون الناس:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾[3].

بينت هذه الآيات جملة من أعمالهم المنافية للايمان وهي:

١ ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ...﴾ وخداعهم لله سبحانه إظهارهم الايمان الذي حقنوا به دماءهم وأموالهم ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ معنى خداع الله تعالى إياهم ان يجازيهم على خداعهم الذي لا يخفى على الله سبحانه.

(١) سورة المنافقون، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٤٢ ـ ١٤٣.

٢ ـ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ﴾ متثاقلين (يراؤون الناس) يعني أنهم لا يعملون عملاً من أعمال العبادات على وجه القربة إلى الله تعالى وإنما يفعلون ذلك ابقاءً.. على أنفسهم وحذراً من القتل وسلب الأموال وإذا رآهم المسلمون صلوا ليروهم أنهم يدينون بدينهم وإن لم يرهم أحد لم يصلوا..

٣ ـ ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالمقدار الذي يخفي خداعهم، وإنما وصف بالقلة لأنه لغير الله سبحانه.

٤ ـ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ يعني مرددين بين الكفر والايمان.. قال رسول الله ﷺ إن مثلهم مثال الشاة العابرة ـ المترددة ـ بين الغنمين تتحير فتنظر إلى هذه وهذه ولا تدري أيهما تتبع.

تخلف المنافقين عن الجهاد ووعيد العذاب لهم:

يقول الله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾[1].

فقد اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي ﷺ ولم يخرجهم معه إلى تبوك استأذنوه في التأخر فأذن لهم ففرحوا بقعودهم عن الجهاد... وذلك طلباً للراحة والدعة وعدولاً عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته..

قل لهم يا محمد نار جهنم وجبت لهم بالتخلف عن أمر الله تعالى ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ من هذا الحر ﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ أوامر الله تعالى ووعده ووعيده.

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

ويقول الله سبحانه في هذا السياق ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1].

تشير هذه الآيات إلى أنه من المنافقين من يقول ائذن لي في القعود عن الجهاد الا في العصيان وقعوا بمخالفتهم أمرك في الخروج إلى الجهاد.

قصة هذه الآيات هي ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس إلى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر فقام جد ابن قيس فقال يا رسول الله إئذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فإني أخاف ان افتتن بهن فقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ الآيات.

المنافقون اعدى الأعداء للحق والحقيقة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[2].

من أسباب نزول هذه الآيات هو أن «الأخنس بن شريق» كان رجلاً وسيماً عذب البيان يتظاهر بالاسلام وبحب الرسول ﷺ وكان كلما جلس عند النبي ﷺ أقسم بالله سبحانه على إيمانه وعلى حبه للرسول، كان الرسول يغدق عليه من لطفه وحبه.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

وعندما نشب العداء بينه وبين قبيلة «ثقيف» هجم عليهم وقتل أحشامهم وأباد زرعهم.

وقال بعض المفسرين: إنه مرّ على مزرعة للمسلمين فأحرقها وأباد أنعامها وبذلك أظهر ما كان يبطنه من نفاق، فنزلت الآية.

وللتحذر من المنافق المنطبق ورد عن علي عليه السلام: «ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان، عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون».

عاقبة المنافقين وصفة حشرهم:

يقول الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفاق من الكفر وإن كان النفاق كفراً ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين وقد أبعدهم من جنته وخيره وأعد لهم عذاباً دائماً لا يزول.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه، يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده. ثم يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة.

ما هو شرط قبول توبة المنافق:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٨.

لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[1].

استثنى الله سبحانه من العذاب في الدرك الأسفل من النار الذين تابوا من نفاقهم وأصلحوا نيّاتهم وتمسكوا بكتاب الله تعالى وصدقوا رسله وتبرّأوا من الالهة والانداد فانهم إذا فعلوا ذلك يكونون في الجنة مع المؤمنين ومحل الكرامة وانما اشترط على المنافقين الاخلاص بعد الاصلاح والاعتصام لأن النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب.

قصة جلاس بن سويد بن الصامت:

قيل... أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسمّاهم رجساً وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقاً فينا يقول فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمداً لصادق وأنتم شرّ من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس: كذب يا رسول الله فأمرهما رسول الله أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال: اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: آمين فنزل جبرائيل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض عليّ التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قلته وأنا استغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه.

يقول الله سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣٥ ـ ١٤٦.

وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾[1].

اللهم إنا نسألك التوبة من كل ذنب عظيم
ونسألك الرحمة والرضوان وأعلى الجنان
والسلام عليكم ورحمة الله

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

ذكر الموت في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

تشير هذه الآية إلى قانون «الموت» العام وإلى مصير الناس في يوم القيامة ليكون ذلك تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين وتحذيراً كذلك للمعارضين العصاة. فهو قانون عام يشمل جميع الأحياء في هذا الكون.. والناس وإن كان أكثرهم يحب أن ينسى مسألة الفناء ويتجاهل الموت، ولكن هذا الأمر حقيقة واقعة إن حاولنا تناسيها والتغافل عنها، فهي لا تنسانا، ولا تتغافل عنا. إن لهذه الحياة نهاية لا محالة، ولا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يزور فيه الموت كل أحد ولا يكون أمامه ـ حينئذٍ ـ إلاّ أن يفارق هذه الحياة وستكون بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى هي مرحلة الثواب والعقاب، وبالتالي الجزاء على الأعمال فهنا عمل ولا حساب وهناك حساب ولا عمل، «**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**» فهي تعني أن الذين استطاعوا أن يحرروا أنفسهم من جاذبية النار ويدخلوا الجنة فقد نجوا من الهلكة ولقوا ما يحبونه، وكأن النار تحاول بكل طاقتها أن تجذب الآدميين نحو نفسها حقاً إن هناك عوامل عديدة تحاول أن تجذب الانسان إلى نفسها وهي على درجة كبيرة من الجاذبية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

أليس الشهوات العابرة واللذات الجنسية غير المشروعة والثروات والمناصب غير المباحة مثل هذه الجاذبية القوية؟ فإما أن يسقطوا في أسرها، أو ينجو منها بتربية النفس حتى تصل إلى مرتبة النفس المطمئنة وبالتالي يفوزوا بالجنة.

ونحن الآن في بحثنا لهذا الموضوع نطرح علاجاً لطول الأمل ولحب الدنيا والإنغماس في الملذات المحرمة فقد ورد عن رسول الله ﷺ: أنه مرّ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال: شوبوا مجلسكم بذكر مكدّر اللذات، قالوا: وما مُكدّر اللذات قال: الموت.

ونحن سنذكّر به من خلال الآيات القرآنية إنشاء الله تعالى:

مفهوم الموت:

الموت: ضد الحياة، وهو السكون وكل ما سكن فقد مات وقد قيل إني لأرجو أن تموت الرِّيح ـ فاسكن اليوم واستريح... فالموت إذا دخل الانسان لم يدخل في شيء إلا وخرجت من الحياة فهو إذن فقد الحياة وآثارها من الشعور والارادة عما من شأنه.. أن يتصف بها قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[1].

وقال في الأصنام ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[2].

والموت يقع بحسب أنواع الحياة: فمنها ما هو بأزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ ومنها زوال القوة العاقلة «وهي الجهالة» كقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ و ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ومنها الحزن والخوف المكدّر للحياة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ٢١.

كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[1] وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم وغير ذلك ومن ذلك (ميتة السوء) بفتح السين، وهي الحالة التي يكون عليها الانسان عند الموت كالفقر المدقع والواصب الموجع والألم المغلق والاعلال التي تقضى به إلى كفران النعمة، ونسيان الذكر والأحوال تشغله عمّا له وعليه.

استحالة الفرار من الموت:

إعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكّر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

والناس إما منهمك أو تائب مبتدىء أو عارف منتبه، أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره ليتأسف على دنياه وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً.

والثاني فإنه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام «من كره لقاء الله كره الله لقاءه» فإن هذا ليس كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا.

(١) سورة ابراهيم، الآية: ١٧.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٨.

وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينس قط موعد لقاء الحبيب. روي عن حذيفة (رض) أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب اليَّ من الغنى والسقم أحب اليَّ من الصحة والموت أحبّ اليّ من الحياة فسهّل علي الموت حتى ألقاك.

فإذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى رتبة منهما من يفوّض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى درجة التسليم والرضا وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل وقد روي عن النبي ﷺ: أكثروا ذكر هادم اللذات الموت[1].

عوامل الخوف من الموت:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

يبدو من تاريخ اليهود، أنهم كانوا يعتقدون أن الجنة خلقت لهم لا لسواهم، وأن نار جهنم لن تمسهم وأنهم أبناء الله سبحانه وخاصته وأنهم يحملون جميع الفضائل والمحاسن فلو كان اعتقادهم قطعياً أنهم من أهل الجنة كان الموت أحب اليهم من حياة الدنيا التي فيها أنواع المشاق والهموم والآلام والغموم ومن كان على يقين أنه إذا مات

(١) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤٢٥٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فإنه يؤثر الموت على الحياة.. فكشف الله سبحانه زيف إدعائهم.

خوف الناس من الموت يعود إلى عاملين:

١ ـ الخوف من الفناء والعدم.. وهذا الخوف يلاحق هؤلاء في أسعد لحظات حياتهم فيحوّلها إلى علقم في أفواههم.

٢ ـ الخوف من العقاب، مثل هذا الخوف يلاحق المذنبين المؤمنين بالآخرة فيخافون ان يحين حينهم وهم مثقلون بالآثام والأوزار، فينالوا جزاءهم، ولذلك يودون أن تتأخر ساعة انتقالهم إلى العالم الآخر. الأنبياء العظام أحيوا في القلوب الايمان باليوم الآخر وبذلك أبعدوا شبح الفناء والانعدام من الأذهان، وبينوا أن الموت انتقال إلى حياة أبدية خالدة منعمة.

ومن جهة أخرى دعا الأنبياء إلى العمل الصالح كي يبتعد الانسان عن الخوف من العقاب ولكي يزول عن القلوب والأذهان كل خوف من الموت.

الهدف من خلق الموت والحياة:

يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1].

يعني خلق الموت للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحياة للتزود، وليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله.

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

الموت حق محتوم:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

إعلم أنه قد مات ارسطا طاليس معلم الأطباء وأفلاطون رئيس الحكماء وجالينوس شاخ ودق بصره وما دفع الموت حين نزل بساحته ولم يألوا حفظ أنفسهم والنظر لما يوافقها، كم من مريض زاده المعالج سقماً وكم من طبيب علام وبصير بالأدواء والأدوية ماهر مات وعاش الجاهل بالطب بعده زماناً فلا ذاك نفعه عمله عند انقطاع مدته وحضور أجله ولا هذا ضره الجهل بالطب مع بقاء المدة وتأخر الأجل.

ويقول الله سبحانه في هذا المجال أيضاً: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[4].

«فلو بقيت الدنيا لأحد لكانت للأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا غير ان الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر فتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون» وقد ذكر في نفس السياق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[5]، تعد السنين ثم تعد الشهور ثم تعد

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.

الأيام ثم تعد الساعات ثم تعد النفس ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

الى غير ذلك من الآيات والأدلة على حتمية الموت والفناء.

موت المؤمن:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

يعني طيبي الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك فإن وفاتهم لا يكون فيها صعوبة وتقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء فلما بشروا بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها وقد ورد أن «الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفكّ قيود وأغلالٍ ثقيلةٍ والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب».

نزول الملائكة على المؤمنين المستقيمين عند الموت وبشارتهم لهم بالجنة يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3].

سكرة الموت:

يقول الله سبحانه: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.
(٣) سورة حم السجدة، الآية: ٣٠.

يعني جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر إليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت، ويقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الموت ما كنت منه تهرب وتميل وقال الله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[1].

أفضل الموت هو موت الشهادة وقد نظم في ذلك:

وإن تكن الأبدان للموت انشئت فقتل امرىء بالسيف في الله أفضل.

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[2].

فالله سبحانه هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل لا مقدم لما أخّر ولا مؤخر لما قدم ولا راد لما قضى ولا محيص عما قدّر وهذا التضمن منع الناس من التخلف عن الجهاد خشيت القتل بأن الإحياء والإماتة بيد الله سبحانه فلا حياة لمن قدّر الله سبحانه موته ولا موت لمن قدّر الله تعالى حياته ثم خاطب المؤمنين وبين لهم إذا قتلوا في الجهاد أن لهم: «لمغفرة من الله ورحمة وأن ذلك خير مما يجمعون».

(١) سورة القيامة، الآيات: ٢٦ ـ ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٦ ـ ١٥٧.

يروى عن علي عليه السلام أنه قال: «أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت معيد ولا محيص، من لم يقتل مات وإن أفضل الموت القتل والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيّف أهون من موتة واحدة على الفراش»[1].

التوبة قبل الموت:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

فهذا مثاله كالمريض الذي ينهاه طبيب حاذق حنون عن أمور معينة ويأمره بالحمية ويخبره بأنه إذا لم يلتزم فسيبتلى بمرض خطير كالسرطان مثلاً.. ولا يأبه بأوامر الطبيب ويرى تعليماته غير ذات معنى ويهزأ بها... وعندما يبتلى بمرض السرطان ويعاني من ويلات آلامه ويتهدده الموت يندم لعدم التزامه بما قاله الطبيب... فما نفع هذا الندم؟.

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

وصية ابراهيم عليه السلام نبيه:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[4].

يعني الزموا الإسلام فإن أدرككم الموت صادفكم مسلمين.

---

(١) مستدرك سفينة البحار/ ص ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

ما يتبع الانسان بعد الموت:

عن رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله»[1].

ملك الموت:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2].

أي يقبض أرواحكم أجمعين ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم وإلى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون.

وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «الأمراض والأوجاع كلها بريد للموت ورسل للموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: يا أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر وأنا الرسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه وتعارفوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً».

قصة وعبرة:

عن حيتمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داوود (صلوات الله عليه) فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما

(١) ميزان الحكمة/ ج ١٧ / ص١٥٣.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.

خرج قال الرجل لسليمان عليه السلام من هذا قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر الي كأنه يريدني قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلّصني منه فتأمر الريح حتى يحملني إلى أقصى الهند فأمر سليمان عليه السلام الريح ففعل ذلك ثم قال سليمان عليه السلام: لملك الموت بعد أن اتاه ثانية، رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي قال نعم، كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبض روحه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك.

الآخرة في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1].

اعلم أنه لم يخلق الانسان هملاً وعبثاً فالخالق عين للكائن البشري مسيرة تكاملية لا تنتهي إطلاقاً بموته، إذ لو كان الموت نهاية المسيرة لكانت حياة الانسان عبثاً لا طائل تحته.

فعدالة الله تعالى المطلقة في انتظار الجميع ولا شيء من أعمال البشر في هذه الدنيا يبقى بدون جزاء هذا اللون من التفكير يبعث في نفس حامله الهدوء والسكينة ويجعله يتحمل أعباء المسؤولية ومشاقها بصدر رحب، ويقف أمام الحوادث كالطود الأشم ويرفض الخضوع للظلم وهذا التفكير يملأ الانسان ثقة بأن الأعمال ـ صالحها وطالحها ـ لها جزاء وعقاب وبأنه ينتقل بعد الموت إلى عالم ارحب خال من كل ألوان الظلم يتمتع فيه برحمة الله تعالى الواسعة الايمان بالآخرة يعني اختراق حاجز عالم المادة والدخول إلى عالم أسمى ويعني أن عالمنا هذا مزرعة لذلك العالم الأسمى ومدرسة إعدادية له، وأن الحياة في هذا العالم ليست هدفاً نهائياً بل تمهيد وإعداد للعالم الآخر.

الحياة في هذا العالم شبيهة بحياة المرحلة الجنينية فهي ليست هدفاً

(١) سورة لقمان، الآية: ٤.

لخلقة الانسان بل مرحلة تكاملية من أجل حياة أخرى، وما لم يولد هذا الجنين سالماً خالياً من العيوب لا يستطيع أن يعيش سعيداً في الحياة التالية، الايمان بيوم القيامة له أثر عميق في تربية الانسان يهبه الشجاعة والشهامة لأن أسمى وسام يتقلده الانسان في هذا العالم هو وسام «الشهادة» على طريق هدف مقدس إلهي والشهادة أحب شيء للانسان المؤمن وبداية لسعادة أبدية خالدة.

الايمان بيوم القيامة يصون الانسان من ارتكاب الذنوب، فكلما قوي الايمان قلت الذنوب.

ونسيان يوم الحساب أساس كل طغيان وظلم وذنب وبالتالي أساس استحقاق العذاب الشديد.

مفهوم الآخرة:

الآخرة: هي دار البقاء.. التي أعدها الله تعالى للناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب فيسعد فيها المؤمن وله جنات النعيم، يشقى فيها الكافر وله عذاب أليم فهو يوم الحسرة على العاصين ويوم الندامة والقصاص والبلاء والخزي والفزع والجزع والخلود.

إرادة الآخرة:

يقول الله سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[1].

بناءً على ذلك هناك ثلاثة شروط أساسية للوصول إلى السعادة الأبدية هي:

(١) سورة الاسراء، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

أولاً: إرادة الإنسان وهي الإرادة التي ترتبط بالحياة الأبدية ولا تكون مرتبطة بالذات الزائلة والنعم غير الثابتة والأهداف المادية، فالإرادة القوية والروحية العالية تجعلان من الإنسان حرّاً طليقاً غير مرتبط بالدنيا.

ثانياً: هذه الإرادة يجب أن لا تكون ضعيفة وقاصرة في المجال الفكري والروحي للإنسان، بل إنها يجب أن تشمل جميع ذرات الوجود الإنساني وتدفعه للحركة وبذل كل ما يستطيع من السعي في هذا المجال يجب الملاحظة بأن كلمة «سعيها» قد جاءت في الآية الكريمة للتأكيد وهي تعني أن على الانسان ان يبذل أقصى ما يستطيع من السعي في سبيل الآخرة.

ثالثاً: إن كل ما سبق من حديث عن الارادة في النقطتين السابقتين ينبغي ان يقترن بالايمان، الايمان الثابت والقوي لأن أي تصميم وجهد، إذا أريد له أن يثمر يجب أن تكون أهدافه صحيحة ومصدر هذه الأهداف هو الايمان بالله والعمل بطاعته.

الناس قسمان في طلب الدنيا والآخرة:

يقول الله تبارك تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1].

يوضح القرآن الكريم طبيعة مجموعتين من الناس وطريقة تفكيرهم: مجموعة لا تفكر إلا بمصالحها المادية فتقول: ربنا آتنا في الدنيا.. هؤلاء

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

لاحظ لهم في المعنويات ولا نصيب لهم في الآخرة مما يتمتع به الصالحون والمجموعة الثانية: إتسعت آفاقهم الفكرية وتعدّت حدود الحياة المادية فاتجهوا إلى طلب السعادة في الدنيا باعتبارها مقدمة لتكاملهم المعنوي، وطلب السعادة في الآخرة.

هذه الآية الكريمة توضح في الحقيقة موقف الإسلام من المسائل المادية والمعنوية وتدين الغارقين في الماديات كما تدين المنعزلين عن الحياة هؤلاء الصالحون يطلبون من الله تعالى أن يقيهم من عذاب الجحيم في الآخرة.

ويقول المولى في هذا السياق: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً[2].

من صفات المؤمن الاعتقاد بالآخرة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[3].

فقد وصف سبحانه المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة بحدودها وواجباتها ويداومون على اوقاتها ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم إلى من يستحقها، ولا يشكون بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء.

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) ميزان الحكمة/ ج ١/ ص ٢٩.
(٣) سورة النمل، الآية: ٣.

لمن الجنة:

يقول الله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ...﴾[1].

يعني الجنة نجعلها للذين لا يتكبرون ولا يتجبرون على الله تعالى وعلى عباده ولا يعملون بالمعاصي.

أفضلية الآخرة على الدنيا:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[2].

يعني ثواب الآخرة خير لخلوصه عن الشوائب وفي هذه إشارة إلى أنه سبحانه يؤتي يوسف عليه السلام في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما أتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة.

وقال عزّ وجلّ في هذا السياق: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

يعني الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها.

يقال سبحانه أيضاً: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[4].

أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على قدر العمل فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر وقد روي ان ما بين

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

أعلى درجات الجنة واسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على أن الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا.. إنما تزيد في درجات الآخرة.

يقول الله سبحانه: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1] يعني فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك.

شراء الآخرة بالدنيا:

يقول الله عزّ وجل: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[2].

يعني الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية ويجوز يبيعون الحياة الدنيا بنعيم الآخرة أي يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله سبحانه بتوطين أنفسهم على الجهاد في طاعة الله وبيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة.

الانحراف عن الآخرة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[3].

لقد تهافتوا على اقتناء هذا المتاع الدنيوي وهم عالمون بأنه يصادر آخرتهم فباعوا شخصيتهم الإنسانية بهذا المتاع وأضاعوا سعادتهم وسعادة مجتمعهم عن علم ووعي وغرقوا في مستنقع الكفر والانحراف.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

حبط الأعمال:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

يعني أعمالهم الصالحات سوف تتأثر بذنوبهم الكبيرة فتفقد أثرها وتصبح كأن لم تكن.. وإن أحداً لن يحميهم من عقوباتهم وما ينتظرهم من عذاب.

كذب إدعاء الآخرة:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

لماذا تفرون من الموت وكل ما في الآخرة من نعيم هو لكم كما تدعون لماذا هذا الالتصاق بالأرض وبالمصالح الذاتية والفردية إن كنتم مؤمنين بالآخرة وبنعيمها حقاً؟.

بهذا الشكل فضح القرآن أكذوبة اليهود وأمثالهم وبين زيف ادعائهم.

عذاب الآخرة لبني اسرائيل:

يقول الله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[3].

الآية تشير إلى تخبط بني إسرائيل وتناقضهم وخسرانهم في مواقفهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٦.

والمصير الطبيعي الذي ينتظرهم نتيجة نقضهم العهد الذي أقر به بنو اسرائيل.

وعدم التزامهم بالأمور التالية:

أولاً: بالتوحيد وإخلاص العبودية.

ثانياً وثالثاً: بالاحسان إلى الأقارب واليتامى والفقراء.

رابعاً: بالتعامل الصحيح مع الآخرين.

خامساً: بإقامة الصلاة.

سادساً: بإيتاء الزكاة.

سابعاً: بعدم سفك الدماء.

ثامناً: بعدم إخراج بني جلدتهم من ديارهم بإفداء الأسرى.

ثم تشير الآيات إلى نقض العهد بعد الاقرار فاستحقوا العذاب بذلك.

ويقول سبحانه عن هؤلاء الظلمة: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

مصير منكري الآخرة:

يقول الله سبحانه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾[2].

يعني الذين لا يصدّقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب (في العذاب) في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٨.

العمل في الآخرة:

عن النبي ﷺ: من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له[1].

شيء من ثواب المؤمن في الآخرة:

سئل رسول الله ﷺ: عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[2]. قال: قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ـ الخادمة ـ ويعطى المؤمن في كل غداة ـ يعني من القوة ـ ما يأتي على ذلك أجمع»[3].

(١) ميزان الحكمة/ ج ١/ ص ٢٩.
(٢) سورة الصف، الآية: ١٢.
(٣) المحجة البيضاء/

جهنّم في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجل في سورة النبأ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَئَابًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[1].

إعلم أن أكثر الناس من الغافلين عن أخرتهم والمغرورين بما هم فيه من الإنغماس بملذات هذه الدنيا المشرفة على الزوال لذا دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه وتوجه بفكرك إلى موردك ألا تدري بأن النار مورد للجميع إذ قيل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[2].

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذاك المورد فعساك تستعد للنجاة منه بالعمل الصالح وترك الطالح الذي يؤدي بك إلى الوقوع في العذاب.

وتذكّر خروج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيِّع عمره في سوء العمل،

(١) سورة النبأ: الآيات: ٢١ ـ ٣٠.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢.

فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ويسكنونه في قعر الجحيم ويقولون: له ذق إنك أنت العزيز الكريم، فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء: مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويؤبّد فيها السعيد، فشرابهم فيها الحميم ومستقرّهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدّت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منّا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود وتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسئوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبّون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطّعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل والثبور ومهما دعوا بالثبور صبّ من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها هامهم فيتفجّر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويمتعط من الأصراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنشّ في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سوّدت وجوههم أشد سواداً من الحمم ـ الفحم ـ

وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزّقت جلودهم وغلّت أيديهم إلى أعناقهم جمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطئون مسك الحديد بأقدامهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم هذه جملة من أحوالهم وللتنبّه أكثر وأفضل المصادر لذلك ولبيان ألوان العذاب في جهنم هي الآيات القرآنية الكثيرة ونذكر بعضها:

مفهوم جهنم:

جهنم هي دار العقاب الأبدي بعد الموت، وهو المكان الذي أعدّ ليكون مثوى الكفار والظالمين والمنافقين والمسيئين في عالم الآخرة فهم سينتقلون في يوم القيامة بعد محاسبة أعمالهم إلى ذلك المكان، إنه مكان سيء جداً يعذّب فيه ساكنوه بألوان العذاب والأذى لينالوا بذلك جزاء أعمالهم السيئة.

دركات جهنّم:

إن لجهنم دركات ومراتب مختلفة بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية.. وكل فريق يوضع في الدرك الذي يناسبه.

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1].

وعن رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»[2].

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٢) رواه مسلم: ص ١٣٥.

شدة عذاب جهنم:

إن نار جهنم شديدة وفظيعة فهي تغضب على ساكنيها حتى يسمع صوت غضبها من مكان بعيد يقول الله سبحانه:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾[1].

ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾[3].

لماذا جهنّم للإنس والجنّ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[4].

الله سبحانه خلق الانس والجن للطاعة وبالتالي للجنّة والرحمة

(١) سورة الفرقان، الآيات: ١١ ـ ١٤.
(٢) سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ١١.
(٣) سورة الليل، الآية: ١٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

يقول الله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فأخبر انه خلقهم للعبادة وقال أيضاً وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولكن من لا يتدبر أدلة الله تعالى وبيناته ولا يسترشد ويعرض عن الاتعاظ فيكون كما قال سبحانه صم بكم عمي أمثال هؤلاء من الانس والجن لا يستحقون إلا جهنم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾.

وقود جهنم:

إن حطب جهنم هو البشر والأصنام والمعبودات المزيفة يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

طعام أهل النار:

إن طعام أهل جهنم من شجرة إسمها الزّقوم وهم يأكلون منها لشدة جوعهم ولكنها تغلي في بطونهم مثل الماء الحار وتتلاشى أعضاؤهم الداخلية.

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾[1].

ويقول أيضاً سبحانه: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[2].

قال رسول الله ﷺ: «الذي نفس محمد ﷺ بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض، لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف من هو طعامه»[3].

إن الماء الذي يشربه أهل جهنم ليس سوى الحميم الغساق الذي يسيل من حديدهم فكلما طلب أهل جهنم الماء من شدة العطش يعطون هذا المشروب الوبيء.

يقول الله سبحانه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾[4].

يقول الله سبحانه في هذا السياق: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[5].

ويقول أيضاً سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[6].

(١) سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٤٨.
(٢) سورة الغاشية، الآيتان: ٦ـ٧.
(٣) مستدرك سفينة البحار/ الباب ٢٩٠/ ص ١.
(٤) سورة النبأ، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.
(٥) سورة الانعام، الآية: ٧٠.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

ألبسة وسلاسل وأغلال جهنم:

إن على أهل جهنم ألبسة من نار وهم يوضعون في السلاسل والأغلال ثم تصب المواد الذائبة على رؤوسهم يقول الله عزّ وجلّ:

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾[1].

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾[2].

جهنم مثل الخيمة تحيط بأهلها:

إن جهنم مثل الخيمة تحيط بالكافرين من جميع الجهات والأطراف وهم يحترقون في النار، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

عذاب أهل جهنم سوف يكون مستمراً:

إن في جهنم لا يوجد موت والجهنّميون يطلبون الموت من شدة العذاب الذي يعانون منه ولكن لا موت هناك يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾[4].

ويقول سبحانه في هذا السياق: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا

(١) سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.
(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٤.
(٤) سورة طه، الآية: ٧٤.

زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

جلود الجهنميين:

إن جلود الجهنميين ولحومهم تشوى في جهنم ولكنها سرعان ما تتجدد حتى يذوقوا العذاب جيداً يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

شكل العذاب لمانع الحقوق في جهنم:

إن الذين يدخرون الذهب والفضة ويكنزون أموالهم ولا يؤدون الحقوق الواجبة تذوب تلك الأموال في جهنم وتكوى بها وجوه أصحابها، وجنوبهم وظهورهم، يقول الله سبحانه: ﴿۞ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

سبب الخلود في النار:

يقول الله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

إن الأمور المذكورة نماذج من خصائص العذاب الذي يعذب به المسيؤون في جهنم.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨١.

هذا مضافاً إلى أن جهنم وصفت في القرآن الكريم وعلى سبيل الاجمال بأنها مكان سيىء ومظلم جداً وتجد هذا النوع من التعابير والألفاظ بوفرة في الكتاب العزيز.

عذاب مهين، عذاب أليم، عذاب شديد، عذاب عظيم، عذاب الحريق، عذاب مقيم، عذاب الهون بئس المصير بئس مثوى الظالمين بئس المهاد ساءت مصيراً ذلك الخزي العظيم، عذاب غليظ وما يشابهها من الأوصاف التي وصف بها عذاب جهنم الرهيب ونختم بقصة لنعتبر أكثر.

قصة منافيخ جهنم:

بينما رسول الله ﷺ ذات يوم كان قاعداً إذ جاء جبرائيل عليه السلام وهو كئيب حزين متغير اللون فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرائيل مالي أراك باكياً حزيناً فقال: يا محمد فكيف لا أكون كذلك، وإنما وضعت منافيخ جهنم اليوم فقال رسول الله ﷺ وما منافيخ جهنم يا جبرائيل فقال: إن الله تعالى أمر بالنار فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر بها فأوقد عليها الف عام حتى اسودت وهي سوداء مظلمة فلو أن حلقة من السلسلة التي لها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت من حرّها ولو أن قطرة من الزقوم والضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهل الدنيا من نتنها، قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرائيل فبعث الله اليهما ملكاً فقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: قد أمنتكما من أن تذنبا ذنباً فأعذبكما عليه.

اللهم عفوك عفوك قبل جهنم والنيران، اللهم عفوك عفوك قبل سرابيل القطران، اللهم عفوك عفوك قبل أن تغل الأيدي إلى الأعناق يا أرحم الراحمين وخير الغافرين آمين رب العالمين.

الجنّة في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

إعلم أن الإيمان والعمل الصالح بكامل معانيه يكمل أحدهما الآخر، والله سبحانه في هذه الآية بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار. ولهم فيها أزواج ورزق وهم فيها خالدون هذه الجنّات التي هي مثوى الموحّدين والمحسنين وهي مكان راقٍ جداً إلى درجة أننا لا يمكننا إدراك حقيقتها في الجنة ـ أعلى وأسمى من هذه المفاهيم ـ إن هناك نعماً في الجنة لم ترها عين ولا سمعت بها أذن ولا خطر على قلب بشرٍ.

إن الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث تعني البستان الزاخر بالأشجار، وقد وصفت بأنّها بستان (أو بساتين) مليئة بالأشجار الخضراء الجميلة التي تجري من تحتها الأنهار ذات المياه العذبة الباردة تتدلى منها الفواكه المختلفة المتنوعة الجميلة من أغصانها.

إن فواكه الجنة لذيذة وجذابة جداً وهي في متناول المؤمنين هناك

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

كلما اشتهى المؤمن شيئاً منها تدنوا إليه الأغصان وتضع ثمارها بين يديه بمنتهى الخضوع ليأكل منها ما يشتهي ويخلق الله تعالى مكانها مثلها.

وفي الجنة هناك أنواع المشروبات اللذيذة وبوفرة كبيرة.. وفيها أنهار جارية من اللبن والعسل المصفّى والماء العذب الهنيء ولا يطرأ على فواكه الجنة ومشروباتها فساد ولا تتغير ولا تتعفن ولا تنتن.

المؤمنون يتكؤن على كراسي وأرائك مريحة وهم يلبسون أفضل وأجمل الألبسة ويحادثون الأنبياء والشهداء وعباد الله سبحانه الصالحين ويعيشون مع أزواج جميلة وحنونة لطيفة المعشر ويتمتعون بنعمة الأنس والمودة وأنواع الملذات يقوم بخدمتهم باستمرار غلمانٌ في منتهى الجمال والأدب وبأنواع الوسائل الفخمة والأدوات والأواني الجميلة الجذابة.

إن الجنة مكانٌ واسعٌ جداً سعة السماوات والأرض بل أوسع الجنة مكان أمن واستقرار وراحة ولذة.. ولا مكان في الجنة للشيخوخة ولا للضعف والمرض والموت والأذى والانزعاج.

الجنة مكان دائم وخالدٌ للمؤمنين ليعيشوا إلى الأبد، فمفهوم الجنة بالاضافة إلى ما ذكر: هي دار النعيم في الدار الآخرة وهو المكان الذي أعده الله سبحانه للموحدين والمحسنين ولدينا آيات كثيرة حول تعريف الجنة ووصفها نشير إلى بعضها.

عرض الجنة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

يعني بادروا إلى الأعمال التي توجب نيل المغفرة كاجتناب المعاصي والتوبة والعمل الصالح لنيل جنة عرضها كعرض السماوات السبع والأراضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار؟ فقال ﷺ: سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل؟.

الجنة في مقابل الأعمال الصالحة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾[1].

يعني الذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وعملوا الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الأمانة والوفاء بالعهد إلى غير ذلك إذا عملوا بإخلاص فمصيرهم الجنة التي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً..

وقال سبحانه أيضاً في هذا المجال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾[2].

قال ابن عباس: أي يكرمون وقيل يتلذذون بالسماع وروي مسنداً عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٧.
(٢) سورة الروم، الآية: ١٥.

الجنة وعد بها المتقون:

يقول الله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[1].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3].

أفضل نعم الجنة:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].

يعني رضا الله تعالى عنهم أكبر من ذلك الأجر والثواب فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء، يقول الله عزّ وجلّ طوبى لمن دخلك، مع ذلك رضوان الله ذاك اليوم أكبر وأفضل وقال سبحانه عن جنات عدن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الحجر، الآيات: ٤٥ ـ ٤٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[2].

في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين:

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[3].

خصص الله سبحانه نوعاً من الشراب في الجنة لأوليائه المقربين ولذّة للشاربين:

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾[4].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ . . . يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ . . . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[5].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى

(١) سورة الكهف، الآية: ٣١.
(٢) سورة فاطر، الآيات: ٣٣ ـ ٣٥.
(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٦٩ ـ ٧٢.
(٤) سورة الانسان، الآيتان: ٥ ـ ٦.
(٥) سورة المطففين، الآيات: ٢٢ ـ ٢٥ ـ ٢٨.

جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾[1].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[2].

قصور في الجنة:

يقول سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[3].

درجات الجنة:

ليس جميع أهل الجنة في درجة واحدة، بل تختلف وتتفاضل درجاتهم بتفاوت علمهم ومعرفتهم وأخلاقهم وعملهم.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[4] وقال سبحانه أيضاً: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾[5].

عن رسول الله ﷺ الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة منها كما

(١) سورة الصافات، الآيات: ٤١ ـ ٤٩.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٥.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٠.
(٤) سورة طه، الآية: ٧٥.
(٥) سورة الغاشية، الآيات: ١٠ ـ ١٦.

بين السماء والأرض والفردوس أعلاها سمواً واوسطها محلة، ومنها تتفجر أنهار الجنة، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حُبّب إليّ الصوت فهل لي في الجنة صوتٌ حسن؟ فقال أي والذي نفسي بيده، إن الله يوحي إلي شجرة في الجنة: «أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتاً لم يسمعِ الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب»(١).

أبواب الجنة:

يقول الله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾(٢).

يعني يجدون أبوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى تفتح.

من تحرّم عليه الجنة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾(٣).

الجنة محفوفة بالمكاره:

يقول الله سبحانه: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤).

أوصاف نعم الجنة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى

(١) بحار الأنوار/ ج ٨/ ص ١٩٦.
(٢) سورة ص، الآية: ٥٠.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وهناك آيات كثيرة في وصف الجنة وأهلها إكتفينا بهذا المقدار وبكلمة مختصرة: يوجد للمؤمن في الجنة كل ما يحب ويشتهي ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾ بل إن هناك نعماً لم تخطر ببال أحد أصلاً ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

إنها الجنة دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زمانة ولا غم ولا هم، ولا حاجة ولا فقر وأنها دار الغناء والسعادة ودار المقامة والكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، كما أشرنا وهم فيها خالدون وانها دار أهلها جيران الله وأولياءه وأحباؤه وأهل كرامته وهم من أنواع على مراتب، منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة من ملائكته ومنهم المتنعّمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك والحور العين واستخدام الولدان المخلّدين والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس والحرير وكل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد، حسب ما تعلّقت عليه همّته ويُعطى ما عبد الله من أجله.

غرف الجنة:

قال: جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لنا رسول الله ﷺ: «ألا أحدّثكم

(١) سورة الانسان، الآية: ١٢ ـ ٢١.

بغرف الجنة؟ قال: قلت: بلى يا رسول االه بأبينا أنت وأمّنا، قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال: قلت: يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشا السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبرك عن ذلك من لقي أخاه فسلّم عليه أو ردّ عليه أفشا السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام ـ يعني اليهود والنصارى والمجوس»[1].

(١) رواه البيهقي كما في الترغيب/ ج ٤/ ص ١١.

اليهود في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[1].

اذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد آيات كثيرة تتحدث عن اليهود ولكن أكثرها في سورة البقرة، لأنها أول سورة نزلت في المدينة كما يصرح بعض العلماء واليهود كانوا أشهر مجموعة من أهل الكتاب في المدينة وكانوا قبل ظهور النبي ﷺ ينتظرون رسولاً بشرت به كتبهم الدينية، كما أنهم كانوا يتمتعون بمكانة اقتصادية مرموقة ولذلك كان لليهود نفوذ عميق في المدينة.

فالآية تذكر اليهود بنعم الله الكثيرة عليهم ومنها اختيار الانبياء منهم كموسى وهارون ويوشع وداوود وسليمان وايوب وعزير وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم أجمعين وغيرهم ومريم أم عيسى عليها السلام اسرائيلية ينتهي نسبها إلى داود ولكن اليهود لا يعترفون بالسيد المسيح ابن مريم عليه السلام ويزعمون أن المسيح المذكور بالتوراة لم يأت بعد.

ومنها تشريفهم بالتوراة والزبور، وتحريرهم من فرعون، ونجاتهم من الغرق، وانزال المن والسلوى عليهم، وإعطاءهم الملك والسلطان في عهد سليمان، وغير ذلك مما يستوجب الايمان والشكر لا الانكار

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

والكفر كما فعلوا بنقضهم للعهد والميثاق كما يظهر القرآن الكريم وسنتحدث عن ذلك إنشاء الله تعالى.

مفهوم اليهود:

اليهود: تقول هادوا أى صاروا يهوداً يقول الله سبحانه:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[1] معناه دخلوا في اليهودية.

وهوّد الرجل: حوّله إلى ملة اليهود وفي الحديث: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه معناه انهما يعلمانه دين اليهودية والنصارى ويدخلانه فيه.

والتهويد: أن يصير الانسان يهودياً.

وهاد وتهود إذا صار يهودياً، وهاد يهود هوداً أي تاب واختلف في اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود أي التوبة ومنه قوله إنا هُدنا اليك... وسمّوا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير:

سِوى مربع لم يأتِ فيه مخافة ولا رهقاً من عابدٍ متهودِ.

أي تائب.

وقيل إنما سموا يهوداً لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالاً، وقيل إنما سموا يهوداً لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى عليه السلام، وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى عليه السلام التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج، والرومي والروم.

(١) سورة الانعام: الآية: ١٤٦.

أما لماذا سمي اليهود «بني اسرائيل»؟.

الجواب: هو أن «اسرائيل، أحد اسماء يعقوب والد يوسف عليه السلام، وفي سبب تسمية يعقوب عليه السلام بهذا الاسم ذكر المؤرخون غير المسلمين عللاً ممزوجة بالخرافة..أعرضنا عنها».

وأما علماؤنا فيقلولون: بأن إسرائيل هو يعقوب إبن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام وإن «إسر» تعني «العبد» و «وئيل» بمعنى الله فتكون معنى إسرائيل عبد الله.

نبذة مختصرة عن تاريخ اليهود:

بعد أن هاجر النبي يعقوب عليه السلام بأولاده من فلسطين إلى مصر، حيث يقيم ولده يوسف عليه السلام وزير فرعون في ذاك العهد، أقطعهم فرعون إكراماً ليوسف أرضاً خصبة في مصر وظلت سلالة يعقوب هناك أمداً غير قصير.. ولكن الفراعنة الذين جاءوا فيما بعد اضطهدوا اليهود، وساموهم الخسف والعذاب، فذبحوا الأبناء، واستحيوا النساء، واتخذوا منهم خدماً وعبيداً، ثم أرسل الله نبياً منهم ولهم، وهو موسى بن عمران عليه السلام فحررهم من الظلم والاستعباد، ثم طلب منهم العودة إلى فلسطين، وقتال اهلها ووعدهم النصر، فتقاعسوا جبناً وجوراً، فكتب الله عليهم ان يتيهوا في صحراء سيناء أربعين سنة.. وفي هذه البرهة توفي هارون، ثم أخوه موسى عليه السلام فخلفه ابن أخته يوشع ابن نون. وحوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بهم على أرض فلسطين فاحتلوها، وأبادوا معظم أهلها، وشردوا البقية الباقية، تماماً كما صنع نسلهم الصهاينة في فلسطين سنة ١٩٤٨ وعلى سبيل المثال لا الحصر ما حصل في ديرياسين حيث جمع الصهاينة حوالي ٢٥ إمرأة حاملاً وبقروا بطونهم بالمدى

والحراب.. وهكذا جمعوا أهل قرية الزيتونة في المسجد ثم نسفوه بالديناميت على رؤوسهم وهكذا فعلوا في صبرا وشاتيلا والمسجد الابراهيمي وكثير من المجازر وإلى الآن هي مستمرة في الأرض المحتلة فلسطين اليوم.. المهم بعد يوشع أرسل الله سبحانه منهم الكثير من الأنبياء وفي سنة ٥٩٦ ق.م. أغار على فلسطين ملك بابل وهو «بختنصر» فأزال ملكهم من فلسطين، وذبح منهم كثيراً، واسر كثيراً.

وظلوا بحكم بختنصر إلى سنة ٥٣٨ ق.م. حيث تغلب ملك الفرس على بختنصر فتنفس اليهود الصعداء، واستمروا تحت سيطرة الفرس زهاء مائتي عام، وبعدها وقعوا تحت حكم خلفاء الاسكندر الكبير، ثم تحت سيطرة الرومان.. وفي سنة ١٣٥ ق.م. ثار اليهود على الرومان، ولكن هؤلاء تغلبوا على اليهود، وأخمدوا ثورتهم، ثم أخرجوهم من فلسطين، فهاموا على وجوههم في مختلف بقاع الأرض شرقاً وغرباً.. شرذمة في مصر، وأخرى في لبنان وسورية، وثالثة في العراق ورابعة في الحجاز أما اليمن فقد عرفها اليهود، ورحلوا إليها للتجارة في عهد سليمان عليه السلام الذي تزوج ملكة اليمن بلقيس.

ومع ظهور الإسلام باعتباره الرسالة التي تقف بوجه مصالحهم اللامشروعة وانحرافاتهم وغطرستهم فانهم وقفوا بوجه الدعوة وبدأوا يحوكون ضدها المؤامرات التي لا زالت مستمرة حتى اليوم.

بنوا إسرائيل ونقضهم للميثاق:

يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن

دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[1].

بنود هذا العهد الذي أقر به بنو إسرائيل ونقضوه على الشكل التالي:

١ ـ التوحيد وإخلاص العبودية لله سبحانه.

٢ ـ وبالوالدين إحساناً.

٣ ـ الاحسان إلى الأقارب واليتامى والفقراء.

٤ ـ التعامل الصحيح مع الآخرين.

٥ ـ إقامة الصلاة.

٦ ـ إيتاء الزكاة.

ثم تذكر الآية التي جمعت هذه الأمور نقضهم للميثاق وعدم وفائهم بالعهد أيضاً.

٧ ـ سفك الدماء.

٨ ـ عدم إخراج بني جلدتكم من ديارهم.

٩ ـ افداء الأسرى، أي بذل المال لتحريرهم من الأسر.

ثم تذكر الآية التي جمعت هذه الأمور إقرارهم بالميثاق وبعد ذلك يتعرض القرآن إلى نقضهم للميثاق وقتلهم بعضهم الآخر وتشريد بعضهم الآخر وإلى تعاون بعضهم ضد البعض الآخر ثم يشير إلى تناقض هؤلاء في مواقفهم إذ يحاربون بني جلدتهم ويخرجونهم من ديارهم يقول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ

(١) سورة البقرة: الآيتان: ٨٣ ـ ٨٤.

عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

فالقرآن يندّد بشدة باليهود لنقضهم هذه العهود ويتوعدهم نتيجة لهذا النقض بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة.

بنو إسرائيل قتلة الأنبياء:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾(٢).

من يتابع تاريخ بني إسرائيل يجد أن أكثر الأنبياء أرسلوا اليهم وذلك لخبثهم وشدة مكرهم وانحرافهم.. وقد قابلوا هذه العناية بهم ونعم الله تعالى عليهم بالكفر والمعاصي واتباع الأهواء والرغبات وذلك لتكبرهم وإصرارهم على ممارسة الفساد وتعطشهم للدماء.. فقد كذبوا فريقاً من الأنبياء كنبي الله عيسى عليه السلام ونبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقتلوا فريقاً أخر كنبي الله يحيى عليه السلام وزكريا عليه السلام.

وقال سبحانه في هذا السياق: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(٣).

وقا أيضاً سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦١.

عذاب اليهود:

لقد بلغ العناد بهم حداً طلبوا فيه أن يروا الله جهرة شرطاً لايمانهم يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1].

فهذه الآية بالاضافة إلى أنها تحكي ظاهرة لجاج اليهود وعنادهم الذي تميزوا به دوماً ينم أيضاً هذا الطلب عن جهل بني إسرائيل لأن ادراك الانسان الجاهل لا يتعدى حواسه.

ومن جملة وقاحتهم في هذا السياق أنهم أنكروا كل الكتب السماوية دفعة واحدة يقول الله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾[2].

تعصب اليهود ونفاقهم:

يقول الله سبحانه: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾[3].

تاريخ اليهود يؤكد أنهم مصرون على تحريف الحقائق ونكران ما عقلوه..في الوقت الذي كان من المتوقع أن يكون اليهود أول من يؤمن بالرسالة الاسلامية بعد إعلانها لأنهم أهل كتاب خلافاً للمشركين ولأنهم قرأوا صفات النبي ﷺ في كتبهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦.

لكن القرآن يوجه انظار المسلمين إلى الحالة النفسية السائدة لدى هؤلاء القوم فهم يريدون النبي منهم ولهم تعصباً ويوضح لهم أن الانحراف النفسي يدفع إلى الاعراض عن الحقيقة مهما كانت هذه الحقيقة واضحة بينة.

ثم يتحدث عن نفاقهم فهم يتظاهرون بالايمان لدى لقائهم بالمسلمين ويبرزون إنكارهم عند لقائهم باصحابهم، بل يلومون أولئك اليهود الذين يكشفون للمسلمين عمّا في التوراة من اسرار.

غرور اليهود وادعائهم الكاذب:

يقول الله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالله سبحانه يشير إلى واحدة من ادعاءات اليهود الدالة على غرورهم، هذا الغرور الذي يشكل الأساس لكثير من انحرافاتهم، فهم يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن عنصرهم متفوق على سائر الأجناس البشرية، وأن مذنبيهم لن يدخلوا جهنم سوى أيام قليلة كأربعين يوماً بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ليتنعموا بعدها بالجنة.

ومن مظاهر أنانيتهم استفحال ذاتياتهم.

هذا الادعاء لا ينسجم مع أي منطق، إذ لا يمكن أن يكون بين أفراد البشر أي تفاوت في نيل الثواب والعقاب أمام الله سبحانه وتعالى. وقال الله سبحانه في هذا السياق: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

وهذا ينافي العدالة التي تقوم على أساس تفضيل الناس بعضهم على بعض بالايمان والتقوى والعمل الصالح.

وقال أيضاً سبحانه في هذا السياق: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إذاً القانون العام الذي يقوم على المنطق قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2] فهذا هو القانون العام الذي يشمل المذنبين من كل فئة وقوم.

بشر اليهود بالنبي ثم أنكروه:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

التاريخ يذكر بأن اليهود كانوا يبحثون بولع شديد عن منطلق البعثة النبوية ليكونوا أول من يؤمن برسول الله ﷺ.. فهاجروا ليتخذوا من يثرب سكناً بعد أن وجدوا فيها ما يشير إلى أنها أرض الرسول المرتقب وبقوا فيها ينتظرون بفارغ الصبر النبي الذي بشرت به التوراة كما كانوا ينتظرون الفتح والنصر على الذين كفروا تحت لواء هذا النبي وكانوا يفتخرون امام

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

الأوس والخزرج بأنهم سيكونون من خاصة صحابة النبي المبعوث..

وإذا بهم يقفون إلى جانب أعداء النبي ﷺ ـ بسبب لجاجهم وعنادهم ـ بينما التف حول الرسول ﷺ من كان بعيداً عن هذه الأجواء.

فالأهواء والمصالح الشخصية لعبت دوراً بارزاً في إبعاد هذه الفئة عن الحقيقة وحوّلتهم إلى أعداء أشداء على المؤمنين.

وقال الله سبحانه في هذا المجال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

إثارة اليهود للفتن والحروب:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

يتحدث القرآن الكريم عن الأوس ـ المدعومة من قبل يهود بني قينقاع ـ والخزرج ـ المدعومة من قبل ـبني النضيرـ لمّا أغرى قوم من اليهود بينهم بذكرحروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم... الذي خلصهم من نزعات الجاهلية واحقادها وعداوتها وخصومتها وجعلهم متوادّين متحابين متآلفين.

وكاد يقع الصدام بينهم فبلغ ذلك النبي ﷺ فركب حماراً وآتاهم ونهاهم عن عادات الجالهية خاصة أنه ﷺ بينهم، وقد أعزهم الله بالاسلام فبكوا وعانق بعضهم بعضاً فنزلت الآيات المباركة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٠ ـ ١٠٢.

فتاريخهم إذن يشهد عليهم بأنهم أهل فتن فهم الذين اشعلوا الحرب العالمية الثانية وكثير من الحروب في هذا العصر سببها ومحركها هم اليهود أيضاً الخلافات والصراعات بين الأحزاب والطوائف.. فعلينا أن نحذرهم ونفوت عليهم مؤامراتهم وخططهم ونردها إلى نحورهم.

مكر اليهود وخداعهم وحسدهم:

يقول الله سبحانه عنهم: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

يقول بعض المفسرين.. إن اثني عشر من يهود خيبر وغيرها وضعوا خطة ذكية لزعزعة إيمان بعض المؤمنين، فتعاهدوا فيما بينهم أن يصبحوا عند رسول الله ﷺ ويتظاهروا باعتناق الاسلام، ثم عند المساء يرتدّون عن اسلامهم، فإذا سئلوا لماذا فعلوا هذا، يقولون: لقد راقبنا أخلاق محمد عن قرب، ثم عندما رجعنا إلى كتبنا وإلى أخبارنا رأينا ما رأيناه من صفاته وسلوكه لا يتفق مع ما هو موجود في كتبنا، لذلك ارتددنا إن هذا يحمل بعضهم على القول بأن هؤلاء قد رجعوا إلى كتبهم السماوية التي هم أعلم منّا بها، إذاً لا بدّ أن يكون ما يقولونه صحيحاً وبهذا تتزعزع عقيدتهم.

وفي هذا السياق يقول الله سبحانه: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

وسبب الاصرار على إخراج المسلمين عن دينهم هو الحسد والتعصب والحقد على المسلمين يقول الله سبحانه:

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

قسوة القلب والاجرام عند اليهود:

يقول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[2].

عدم الرحمة وقسوة القلب عند اليهود ظاهرة مثل عين الشمس فلا شفقة ولا إنسانية فهم ينتقلون من مجزرة إلى أخرى فمن دير ياسين إلى الطائرة المدنية إلى صبرا وشاتيلا إلى قانا والآتي قد يكون أفظع والدول التي ترفع شعار شرعة حقوق الانسان مع مجلس الأمن والأمم المتحدة لا يعلمون ما يوقف الاجرام الصهيوني عند حده بل يقفون إلى جانبها ضد شعب أعزل من السلاح.. فوصفهم بأن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة يستحقونه بجدارة وأما ما يؤكد نفسيتهم الاجرامية قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[3].

وارتكابهم للجرائم كما أشرنا كثيراً جداً ما ينتظر العالم من شعب يريد أن يبني لنفسه دولة عنصرية بالقوة وعلى يد العصابات الصهيونية التي ارتكبت أبشع الجرائم بحق الانسانية وهي وصمة عار على جبين

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

العالم المتحضر.. وزعماء هذه العصابات أصبحوا وزراء حاكمين كديّان وبيغن ورابين وشارون وغيرهم.. فقسوة القلب والاجرام متجزرة فيهم وأثارها بادية لمن كان له قلب.

والآتي قد يكون أكثر بشاعة إذا لم يضع لها العالم والشعوب الحرة حداً..

جبن اليهود وحبهم للحياة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[1].

القرآن الكريم يؤكد خوفهم وجبنهم قديماً فهم لا يبرزون لحرب المسلمين وإنما يقاتلونهم متحصنين بالقرى ويرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر، وفي هذا العصر ما يتفوق به هذا العدو هو سلاح الطيران والمدفعية الثقيلة والصواريخ وكل ذلك يؤكد قول الله سبحانه وقد فضحتهم المقاومة في لبنان وفلسطين ورأينا من خلال شاشات ووسائل الاعلام صريخ وبكاء وارتباك جنود الاحتلال من آثار ضربات المقاومةالاسلامية.

وسبب هذا الخوف والجبن هو حبهم للحياة يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

وهذه تعتبر نقطة ضعفهم والتي يعمل رجال المقاومة وخصوصاً الاستشهاديين منهم على الاستفادة منها لدحر هذا العدو وإخراجه من أرض فلسطين وهذا ما عمل ويعمل عليه رجال المقاومة الاسلامية في لبنان..

قصة محاولة اغتيال النبي ﷺ:

بعد ان استطاع الرسول ﷺ أن يضع حداً ليهود الجزيرة العربية وهم يهود بني قينقاع، والنضير،وقريظة، وخيبر، وفدك ووادى القرى، وتيماء، هل استسلم بنو إسرائيل فعلاً للنبي محمد ﷺ؟ وهل تصير الأفعى حمامة؟.. كانت نفوس اليهود ملأى بالخبث والعلل بعد هزيمتهم النكراء، وصمموا على محاولة أخيرة لاغتيال الرسول ﷺ ودبّروا الخطة التالية:

تتظاهر زينب بنت الحارث ـ قائد اليهود الذي صرعه علي عليه السلام ـ بإيمانها الشديد بالاسلام، وتتقي الله ورسوله وتتورع زمناً طويلاً إلى أن تنطلي هذه الحيلة على محمد ﷺ وصحبه، وانطلقت الخدعة على المسلمين وذاع صيت زينب الطاهرة وفضائلها الحميدة، فقرّبها النبي إلى صفوفه، وأصبحت تزور بيته باستمرار وفي أحد الأيام، أعدت زينب اليهودية حملاً شهياً، وأهدته للنبي وصحبه ليأكلوه وتناول النبي قطعة لحم من الحمل ومضغها لكنه لم يزدردها، وقال: «والله إن هذا العضم ليخبرني أنه مسموم» ثم لفظ المضغة، ولم يكن الصحابة قد بدؤا الطعام

(١) سورة البقرة، الآيات: ٩٤ ـ ٩٦.

بعد، ولكن سبق لأحدهم وهو ابن البراء ان تناول لقمة من اللحم وبلعها فمات على الفور، وأحضرت زينب «المؤمنة الفاضلة» إلى النبي واعترفت له اليهودية قائلة «لقد بلغت من قومي يا محمد ما بلغت فقلت في نفسي إن كنت ملكاً استرحت منك وإن كنت نبياً فتخبر» وأجابها محمد «ها قد أخبرت، ماذا تقولين الآن؟».. ويخبر بعض الرواة أن بنت الحارث ركعت أمام النبي ﷺ وأسلمت له فعفا عنها، ويخبر رواة آخرون أن أحد المسلمين قد أطاح برأسها بعد أن اعترفت بجريمتها، على أية حال فعلت حادثة السم هذه فعلها في المسلمين وجعلتهم لا يثقون باليهود ويخافون غدرهم بالرغم من قضاء الرسول ﷺ عليهم.

الجهاد في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

إعلم ان للجهاد في الإسلام اهمية كبرى، حيث اعتبر من الاركان الاساسية التي قام عليها الدين ولولاه ماقام للدين عمود، وما اخضر للإسلام عود. وهو يمثل قمة العطاء ومنتهى التضحية، حيث يعرض المرء حياته للخطر، واحتمال الموت أو الخسارة التي لا تعوض، كل ذلك في سبيل الله تعالى، ولإعلاء كلمة الإسلام ونشر دين الحق في الارض... ولكي لا يشتبه البعض نقول: إذا كان القتال العسكري بيد الدول والشعوب تعتبر في كثير من الاحيان اعتداءً أو جريمة أو مظهر من مظاهر السيطرة والهيمنة.. الا انه في الإسلام مظهر من مظاهر السلام والمحبة وسيادة الحق والعدل والامن والاستقرار، كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2].

وفي كثير من الحالات يكون الجهاد في سبيل الله للدفاع عن المستضعفين والمظلومين الذين لا حول لهم ولا قوة امام غطرسة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

الاحتلال للأرض والمقدسات ولولا الجهاد والقوة الرادعة لفسدت الأرض واهلك القوي الضعيف...

ثم ان للجهاد آثار على النفس كثيرة لأنه نوع بلاء وامتحان للانسان المسلم بمقدار صدقه ووفائه للمبادئ التي يحمل أو يدعو إليها فهو يتطلب جهداً وتعباً ومشقة وعرقاً وسهراً ومشياً وتحملاً وجوعاً والماً وغربة، هذا في الاحوال العادية، وفي حالات أخرى يتطلب دماً واعضاءاً ونفساً وحياة، حيث يبيع المجاهد في سبيل الله رأسه وجمجمته لإحقاق الحق واظهاره، ولكن ثمن ذلك كله الجنة التي وعد بها الله سبحانه المجاهدين وخصص لهم باباً يدخلون منه كما عبر الرسول الاكرم ﷺ: للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم ثم قال: فمن ترك الجهاد البسه الله عزّ وجل ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، ان الله اغنى امتي بسنابك خيلها ومراكز رمحها. نعم ان الجهاد يحظى في الإسلام بأهمية كبرى لان بقاء الإسلام وانتشاره واقتداره وتنفيذ قوانين الشريعة يقوم على هذه الفريضة ولهذه الجهة وردت تأكيدات كثيرة في القرآن الكريم على هذه الفريضة بالاضافة إلى الكثير من الروايات ولكن سنركز على ما جاء في القرآن هنا فانتظر.

مفهوم الجهاد:

الجهاد يعني في اللغة: بذل الجهد وتحمل المشقة في طريق الوصول إلى الهدف..

وفي الاصطلاح الجهاد: عبارة عن المبالغة واستفراغ الوسع في محاربة العدو بهدف نشر الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد والدفاع عن الإسلام والمسلمين ويكون ببذل النفس والمال وبالقول والفعل..

وجوب الجهاد:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

هذه الآية تبين لزوم مقاتلة العدو وانه فرض قد كتب وجوبه على المسلمين لكن الإنسان بحسب طبيعته يملّ الصعاب والمشاق ويرغب في الراحة والدعة وقد عبّرت الآية عن هذا الشعور بقولها ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾.

والله سبحانه يظهر لنا ان هذه المشاعر الذاتية بالكره وبالحب ليست معياراً لفهم المصلحة الحقيقية للفرد والمجتمع، فرُبَ شيء تحبونه وهو ينطوي على شر بليغ، والله سبحانه هو المحيط بكل خفايا الامور.

والآية تشير أيضاً إلى مبدأ اساسي ومهم وهو أن على الانسان المؤمن ان يفهم ان كل هذه القوانين والاحكام هي لصالحه تشريعية كانت كالجهاد والزكاة أم تكوينية كالموت والمصائب التي تحل به أو بأحبائه ولذلك عليه أن يسلم امره لله عزّ وجلّ ولا يحكم فيها علمه المحدود فعلمه بالنسبة لمجهولاته كقطرة في بحر.

وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[2].

فالمعنى جاهدوا في نصرة الله عزّ وجلّ وإحياء دينه وإعلاء كلمته...

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

مفهوم الإسلام عن الحرب:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1].

يعني جاهدوا في سبيل الله تعالى وقصد اعزاز دينه وإعلاء كلمته لا لمطالب دنيوية وضغائن واحقاد...

وهي تأمر بمقاتلة الذين يشهرون السلاح بوجه المسلمين وأجازهم ان يواجهوا السلاح بالسلاح، وقد بينت ثلاثة أسس توضح مفهوم الإسلام عن الحرب وهي على الشكل التالي:

اولاً: توضح الهدف الأساسي من الحرب في المفهوم الاسلامي، فالحرب ليست للإنتقام ولا للعلو في الأرض والتزعم ولا للإستيلاء على الأرض ولا للحصول على الغنائم.. فهذا كله مرفوض في نظر الاسلام، حمل السلاح إنما يصُحّ حينما يكون في سبيل الله ونشر أحكام الله، أي نشر الحق والعدالة والتوحيد.. وإقتلاع جذور الظلم والفساد والإنحراف.

ثانياً: بشأن الذين تجب مقاتلتهم تقول الآية إنهم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ فلا تجوز مقاتلة العدو ما دام لم يشهر سيفاً ولم يبدأ بقتال بإستثناء موارد خاصة.

ثالثاً: أبعاد الحرب تحددها العبارة: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ فالحرب في الإسلام لله سبحانه وفي سبيل الله عزّ وجلّ ولا يجوز ان يكون في سبيل الله تعالى اعتداء ولا عدوان على احد.

لذلك يوحي الإسلام برعاية الكثير من الأصول الخلقية في الحرب.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

يقول علي عليه السلام: فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين امراءكم.

حقن الدماء وإحترام المسجد الحرام:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

هذه الآية تؤكد على ضرورة احترام المسجد الحرام حيث المكان الذي جعله الله تعالى أمناً بناءً على طلب إبراهيم الخليل عليه السلام، فلا تجوز مقاتلة المشركين فيه حتى يبدأوهم بقتال فإن بدأوا بالقتال فللمسلمين أن يدافعوا عن انفسهم حتى في المسجد الحرام.

ثم يقول الله سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[2].

فالمولى سبحانه يؤكد مفهوماً سامياً لبعد الجهاد الإسلامي وهو البعد عن روح الحقد والانتقام وتؤكد أن الكافر المحارب لو تاب يعود إلى رحمة الله وإلى حمى المسلمين فالجهاد إذاً لا يستهدف ما تستهدفه الحروب الجاهلية، من تسلط واحتلال.. وعلوّ عنصري أو فئوي.

الجهوزية القتالية والاعداد للحرب:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩١.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧١.

فهي صريحة الدلالة على وجوب الجهاد والتأهب لقتال الكفار، أي الزموا طريق الاستعداد والاحتياط بأخذ السلاح وغيره وجانبوا الغفلة لئلا يميلوا عليكم فيظفروا بكم.. وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

نيل إحدى الحسنيين:

يقول الله سبحانه: ﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

في الآية دلالة واضحة على وجوب الجهاد والحث عليه والترغيب فيه حيث بين انه يفوز (الأفراد) بإحدى الحسنيين أو كليهما إما الفوز الأخروي أو الدنيوي.. والأول لازم على كل حال.

الدفاع عن المستضعفين:

يقول الله عزّ وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[3].

نقل عن سبب النزول ان قوماً من المسلمين تخلفوا بمكة عجزوا من الهجرة فاجتمع الكفار على افتتانهم عن الإسلام وتوعدوهم بالمكروه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٥.

استضعافاً لهم فدعوا ربهم فنزلت الآية في الحث على استنقاذهم ودفع الأذى عنهم فكان فتح مكة على يد رسوله الأمين ﷺ فكان لهم ولياً ونصيراً.

ففي الآية دلالة على وجوب الهجرة عن بلاد الشرك إلى أرض الله الواسعة وعذر العاجز عن ذلك ووجوب السعي لاستنقاذهم والموافقة عنهم.

فضل المجاهدين على القاعدين:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[1].

الآية صريحة الدلالة على أفضلية الجهاد والأخبار الدالة على ذلك وعلى فضل المجاهد كثيرة فقد جاء في الحديث: إن الله سبحانه فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر.

وفيها دلالة أيضاً على سقوط الجهاد عن أولي الضرر.

نصرة النبي ﷺ القائد:

يقول الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥ ـ ٩٦.

يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

المعنى انه ليس لهم ـ أي لأهل المدينة ومن حولها ـ في شرع الله ودينه التخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد معه بأن يرغبوا في حفظ أنفسهم وإعزازها عن نفس رسول الله ﷺ الذي جعله الله تعالى أولى بهم مع حصول هذه الفائدة العظيمة لهم في خروجهم معه فإن من تأمل في ذلك يوجب أن يفديه بنفسه ويقطع بقبح التخلف عنه ﷺ، ودلالتها واضحة على فضيلة الإنفاق في سبيل الله وهي تؤكد أيضاً على ضرورة السير خلف القيادة النموذجية وعدم التخلي عنها مهما حصل.

لا جهاد على الضعفاء:

يقول الله عزّ وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالجهاد على كل مكلف غير أعمى ولا مقعد ولا مريض يعجز عن الركوب والعدو ولا فقير يعجز عن نفقة عياله وطريقه وثمن ملابسه.

إحترام الأشهر الحرم والقتال فيها:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ

(١) سورة براءة، الآيتان: ١٢٠ ـ ١٢١.
(٢) سورة براءة، الآية: ٩١.

أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾[1].

قيل إن رسول الله ﷺ بعث سرية من المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي ـ وهو ابن عمّة النبي ﷺ وذلك قبل بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم النبي ﷺ المدينة، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة وهي أرض بين مكة والطائف فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في قافلة تجارة لقريش في آخر يوم من جمادي الآخرة، وكانوا يرون انه من جمادي وهو رجب من الأشهر الحرم، فاختلف المسلمون أيقتلون الحضرمين ويغنمون ماله لعدم علمهم بحلول الشهر الحرام، أم يتركونه إحتراما لحرمة شهر رجب. وانتهى بهم الأمر أن شدوا على الحضرميّ فقتلوه وغنموا ماله، فبلغ ذلك كفار قريش فانطلقوا يعيرون المسلمين ويقولون إن محمداً أحل سفك الدماء في الأشهر الحرم فنزلت الآية.. فالقرآن يعلن صراحة حرمة القتال في هذه الأشهر، ويعتبره من الكبائر، لكنه يعلن أن المشركين لا يحق لهم أن يلوموا ويعيّروا المسلمين لخطأ صدر عنهم بقتل الخضرمي في الأشهر الحرم لأن هؤلاء المشركين يرتكبون أكبر من ذلك بكفرهم بالله سبحانه وصدّهم الناس عن الاهتداء إلى سبيل الله واخراج المؤمنين من حرم مكة وانتهاكهم هذا الحرم الأمن وعملهم هذا «فتنة» أي تلويث للجو الاجتماعي بالكفر والطغيان..

مقاتلة الأقرب فالأقرب:

يقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

يعني الذين يقربون إليكم الأقرب فالاقرب لما في ذلك من المصلحة ودفع الضرر لئلا ينتهز العدو الأقرب الفرصة عند مقاتلة الأبعد. وهكذا كانت سيرة رسول الله ﷺ الرد بالمثل.

احترام الأشهر الحرم:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

تشير هذه الآية إلى أن احترام الأشهر الحرم ضروري أمام العدو الذي يراعي حرمة هذه الأشهر، أما العدو الذي يهتك هذه الحرمة فلا نلزم معه رعاية الاحترام وتجوز محاربته في هذه الأشهر.

وتشرع الآية حكماً عاماً تفرض فيه على كل فرد مسلم وكل جماعة مسلمة مواجهة الظالم والرد على عدوانه بالمثل.

وهذا قانون كوني طبيعي، فخلايا البدن تقف بوجه اعتداء الميكروبات المهاجمة والنباتات تحصّن نفسها بأشكال مختلفة امام تحديات العوارض الجوية.

الكر والفر في الحرب:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[2].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

والمعنى لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أي لا تنهزموا في وقت القتال ليلاً كان أو نهاراً ولا يعرض أحدكم عمن قابله منهم إلا متحرفاً لقتال أي تاركاً موقفاً ومائلاً عنه لا بقصد الهزيمة بل طلباً للأصلح في القتال. كأن يقصد الفر ثم الكر أو إصلاح لامة حربه أو عن مقابلة الريح أو الشمس أو على هابط إلى علو أو طلب مشروب أو مأكول اضطر إليه أو نحو ذلك مما فيه الصلاح للقتال.

التحريض على القتال:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1]. والتحريض هو الترغيب والحث على الشيء كحب الجهاد ببيان فوائده الدنيوية كالاعزاز والأخروية بالفوز بالدرجات العليا في الجنة. وقال الله سبحانه أيضاً: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[2].

الخطاب للنبي ﷺ امره ان يقاتل في سبيل الله تعالى وحده ولا يهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد معك فإن ضرر ذلك عليهم، وعليك وأن تحرِّض المؤمنين على ذلك وتحثهم عليه، عسى الله سبحانه أن يكف بأس الكفار ويكفيك مؤنتهم ويكسر شوكتهم.

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٤.

الغلظة على الأعداء والحرب الشاملة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

تضمنت هذه الآية جهاد الكفار الشامل والغلظة عليهم.

الضغط البنّاء:

يقول الله سبحانه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(٢).

هذه الآية أمرت بقتال من يتصف بصفة واحدة من أربع صفات:

١ ـ الذين لا يؤمنون بالله سبحانه.

٢ ـ الذين لا يؤمنون باليوم الآخر أي بالبعث والنشور.

٣ ـ الذين لا يُحرِّمون ما حرَّم الله سبحانه.

٤ ـ الذين لا يدينون دين الحق أي الإسلام الذي هو الحق الثابت الناسخ للأديان.. (طبعاً إعلان الحرب على هؤلاء بيد الحاكم القائد).

الاصلاح بين المؤمنين:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

هذا بمثابة القانون الكلي العام لكل زمان ومكان لحل الخلافات بين الأفراد والجماعات في المجتمع المؤمن.

ينهي عن الارتداد وبيان صفات الحماة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

والمراد ارتدادهم عن الدين فالآية تتحدث عنهم، وهذه الآية أتت بقانون عام يحمل انذاراً لجميع المسلمين فأكدت أن من يرتد عن دينه فهو لن يضر الله بإرتداده هذا أبداً ولن يضر الدين ولا المجتمع الإسلامي أو تقدمه السريع لأن الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدين.

ثم تتطرق إلى صفات هؤلاء الحماة الذين يتحملون مسؤولية الدفاع العظيمة وهي على الشكل التالي:

١ ـ إنهم يحبّون الله سبحانه ولا يفكرون بغير رضاه فالله تعالى يحبهم وهم يحبونه..

٢ ـ و ٣ ـ يبدون التواضع والخضوع والرأفة أمام المؤمنين بينما هم أشداء أقوياء أمام الاعداء الظالمين.

٤ ـ إن شغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ.

٥ ـ وآخر صفة تركز عليها الآية لهؤلاء العظام هي أنهم لا يخافون لومة لائم في طريقهم لتنفيذ أوامر الله سبحانه والدفاع عن الحق.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

شدة القتال واسرى الحرب:

يقول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾[1].

فالله سبحانه أمر بقتلهم والاثخان فيهم ليذلوا فإذا ذلّوا بالقتل واسروا فالأمر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2] ولهم أحكام تطلب في محلها.

كيفية التعامل مع المهاجرات:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾[3].

سبب النزول:

روي عن ابن عباس أنه قال: صالح رسول الله ﷺ بالحديبية

(١) سورة محمد، الآية: ٤.
(٢) سورة محمد، الآية: ٤.
(٣) سورة الممتحنة، الآيتان: ١٠ ـ ١١.

مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يرده وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلميّة مسلمة بعد الفراغ من الكتابة والنبي ﷺ بالحديبية، فجاء زوجها مسافر من بن مخزوم في طلبها وكان كافراً فقال: يا محمد ردّ عليّ زوجتي فإنك شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت الآية.

كيفية مبايعة النساء:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

روي أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة بايع الرجال ثم جاءت النساء يبايعنه فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.. فبايعهن على أن لا يأتين بما ذكر في الآية وأما كيفية المبايعة فكانت بأن دعا بقدح من ماء الرسول ﷺ فأدخل يده ثم أخرجها فقال: ادخلن أيديكن في هذا الماء فهي البيعة.

خطأ المحاسبة:

يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

فنزلت الآية لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام وكان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلما أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله فمر به أسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل فقال رسول الله ﷺ: أفلا شققت الغطاء من وجهه عن قلبه لا ما قال بلسانه قبلت ولا ماكان في نفسه علمت فحلف أسامة بعد ذلك أن لا يقاتل أحداً شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. وأنزل الله في ذلك ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ الآية. وفي الآية دلالة على أن الشهادتين إذا قالهما الكافر يحقن بهما الدم والمال.

السلم والمهادنة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

جنحوا أي مالوا إلى السلم أي الصلح وترك الحرب فاجنح لها أي مل إليها هذا إذا كان فيها مصلحة للمسلمين.

ضرورة الهجرة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ﴾[1].

تدل هذه الآية على وجوب الهجرة من بلاد الشرك التي لا يمكنه فيها إقامة شعائر الاسلام.

قصة عمار بن ياسر:

يقول الله سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية نزلت في عمار وذلك أن جماعة من أهل مكة اسلموا ثم فتنوا فارتد بعضهم طوعاً وبعضهم اكره وهو عمار وابواه ياسر وسمية، وصهيب وبلال، أما سمية فربطت بين بعيرين ووجيء في قلبها بضربة وقيل لها أنك أسلمت طلبا للرجال وقتل ياسر معها، وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أرادوا منه ونجا فسب النبي ﷺ وتبرأ منه وذكر آلهتهم بخير.

الجهاد الأصغر:

روي أن رسول الله ﷺ بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس.

وقال علي عليه السلام أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه.

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.

ثواب المجاهد:

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

في كل زمان ومكان نجد مجموعة محبة للعافية تبتعد عن الأمة المجاهدة ولا تكتفي بالتقاعس والتكاسل، بل تسعى إلى تثبيط عزائم الآخرين وبث الاسترخاء والتماهل في المجتمع، وما أن تظهر حادثة مؤلمة حتى يعربون عن أسفهم وينقمون على المجاهدين الذين اتصلت بهم الحادثة غافلين ان كل هدف مقدس يحتاج إلى تضحيات، وتلك سنة كونية فالقرآن الكريم يتحدث عن هذه الفئة كراراً ويؤنبهم بشدة.

ثمة أفراد من هؤلاء كانوا يتظاهرون بالتأسف والتألم على موت شهيد من شهداء الإسلام في المعركة ويبعثون بذلك القلق والاضطراب في النفوس.

والله سبحانه يرد على هذه الأقاويل السامة بالكشف عن حقيقة كبرى هي أن الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله ليسوا بأموات هؤلاء أحياء، ويتمتعون بنعيم الله ورضوانه لكن البشر المحدودين في عالم الحس لا يدركون هذه الحقائق وهذا ما تؤكده الآية التي تقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٤ ـ ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

فالاسلام والقرآن يبين مكانة الشهداء ومنزلتهم عند الله عزّ وجلّ ويمكن أيضاً الرجوع إلى الروايات لمعرفة ذلك.

من هو الشهيد:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1].

«من آمن بالله سبحانه وصدق بتوحيده وأقرّ بنبوة رسله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾.

قال رسول الله ﷺ: في حديث مع أصحابه لعبد الله بن رواحة: «من الشهيد من أمتي؟ فقالوا: أليس هو الذي يقتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر؟» فقال رسول الله ﷺ: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل، الشهيد الذي ذكرتم، والطّعين، والمبطون، وصاحب الهدم والغرق، والمرأة تمت جمعاً» قالوا: وكيف تموت جمعاً يا رسول الله؟ قال: «يعترض ولدها في بطنها»[2] هذه المذكورات في الرواية حكمهم بمنزلة حكم الشهيد فهي شهادة حكمية.

قصة حنظلة المجاهد:

«حنظلة» وهو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره آنذاك وهو «إبن عامر» عدو رسول الله ﷺ والذي كان مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾..

فقد اشترك والده ابو عامر الفاسق في معركة «أحد» إلى جانب قريش ضد رسول الله ﷺ وكان ممن يكيدون للاسلام وممن حرّض

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٨/ ص ٢٤٥.

قريشاً ضد النبي ﷺ واستمر في معاداة الإسلام حتى النفس الأخير، ولم يألُ جهداً في هذا السبيل.

وقد كان أبو عامر هذا السبب الرئيسي وراء حادثة مسجد «ضرار» غير أن علاقة الأبوة والبنوة وما يتبعها من أحاسيس لم تصرف حنظلة عن الاشتراك في حرب ضد أبيه، ما دام أبوه على باطل وهو (أي حنظلة) على الحق. فيوم خرج النبي ﷺ مع أصحابه إلى «أحد» لمواجهة قريش كان حنظلة يريد البناء بزوجته ليلته، وكان عليه أن يقيم مراسم الزفاف والعرس في الليلة التي خرج رسول الله ﷺ إلى «أحد» في صبيحتها المنصرمة.

ولكنه عندما سمع مؤذن الجهاد ودوّى نداؤه في أذنه تحيّر في ما يجب أن يفعله فلم يجد مناصاً من أن يستأذن من رسول الله ﷺ بأن يتوقف في المدينة ليلة واحدة لإجراء مراسيم العرس ويقيم عند عروسته ثم يلتحق بالمعكسر الإسلامي صبيحة الغد من تلك الليلة، وقد نزل في هذا الشأن.. قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1].

فأذن له رسول الله ﷺ فبات حنظلة عند عروسته تلك الليلة و... لما أصبح خرج من فوره وتوجه إلى «أحد» وهو «جنب».

ولما حضر حنظلة القتال.. وسقط شهيداً قال رسول الله ﷺ: «رأيت الملائكة تغسّل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب فكان يسمى غسيل الملائكة».

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

الصبر في القرآن الكريم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

هذه الآية تطرح مبدأين هامين: الأول الاعتماد على الله تعالى ومظهره الصلاة والآخر الاعتماد على النفس، وهو الذي عبّرت عنه الآية بالصبر، ويعني ذلك أن واجهوا المشاكل والصعاب بهاتين القوتين واعلموا ان الله معكم والنصر حليفكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وخلافاً لما يتصور بعض الناس «الصبر» لا يعني تحمل الشقاء وقبول الذلة والاستسلام للعوامل الخارجية بل الصبر يعني المقاومة والثبات أمام جميع المشاكل والحوادث.

وقلّما كرر القرآن موضوعاً وأكد عليه كموضوع «الصبر» ففي سبعين موضعاً قرآنياً (تقريباً) دار الحديث عن الصبر من بينها ما يختص بالنبي ﷺ تاريخ العظماء يؤكد أن أحد عوامل إنتصارهم بل أهمها صبرهم واستقامتهم، والأفراد الفاقدون لهذه الصفة سرعان ما ينهزمون وينهارون ويمكن القول أن دور هذا العامل في تقدم الأفراد والمجتمعات يفوق دور الامكانات والكفاءات والذكاء ونظائرها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

من هنا طرح القرآن الكريم هذا الموضوع بعبارات مؤكدة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

وفي موضوع آخر يقول سبحانه بعد أن ذكر الصبر أمام الحوادث ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2] وسيأتي المزيد من الآيات...

مفهوم الصبر:

الصبر: هو حبس النفس على المكروه امتثالاً لأمر الله تعالى وهو من أفضل الأعمال حتى قال النبي ﷺ «الايمان شطران شطر صبر وشطر شكر» وفي حديث آخر «الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب» فالصبر الأول: مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها وقد سمي ذلك سعة الصدر وهو داخل في الشجاعة.

والصبر الآخر: مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو فضيلة داخلة تحت العفة، وفي الخبر الثالث: «يأتي زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر» أي كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر عليه لإحراق يده كذا المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة وانتشار الفتن وضعف الايمان.

بعبارة أخرى الصبر: هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة.

قال رسول الله ﷺ: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة، وصبر (عن) المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش[1].

لذلك قال علماء الأخلاق إن الصبر على ثلاث شعب:

الصبر عن المعصية: أي الثبات أمام دوافع الشهوات العادية وارتكاب المعصية.

الصبر على الطاعة: أي المقاومة أمام المشاكل التي تعترض طريق الطاعة.

الصبر على المصيبة: أي الصمود أمام الحوادث المرة وعدم الانهيار وترك الجزع والفزع.

آيات في الصبر عن المعصية:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2].

القرآن يحث على الاستعانة بالصبر والصلاة للتغلب على الأهواء الشخصية والميول النفسية.

ويقول ايضاً: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج ٧/ ص ٣٦١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

يعني وما يلقى دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه ويقول أيضاً: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[1].

أي احبسوا انفسكم على العبادة وجاهدوا أهوائكم..

آيات في الصبر على الطاعة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

في هذه الآية وما قبلها وما بعدها ذكر الله عزّ وجلّ عوامل من عوامل النصر من ضمنها طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وترك التنازع والصبر على قتال الاعداء.

ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

أي جعلنا منهم رؤوساء في الخير يقتدي بهم ويهدون إلى أفعال الخير بإذن الله تعالى وذلك لمّا صبروا وقيل هم الأنبياء الذين كانوا فيهم يدلّون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله سبحانه.

ويقول تعالى في الصبر في الحرب: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٢) سورة الانفال، الآية: ٤٦.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

يعين في الجهاد:

وقال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

هذه العبارة استمرار لنصيحة المؤمنين التي ينصحون بها الآخرين، فيدعونهم إلى الصبر والثبات ويبشرونهم بأن الله تعالى يعين الصابرين والثابتين. وقال سبحانه: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[2].

يعني: إن صبرتم على الجهاد وعلى ما امركم الله تعالى واتقيتم معاصي الله ومخالفة رسوله ﷺ يمدكم الله سبحانه بما ذكر.

وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[3].

أي بما تحملوا من الصبر في الوصول إلى مرضاة الله تعالى.

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾[4].

يعني على طاعة الله تعالى وما ابتلاهم الله عزّ وجلّ به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5].

يعني أن ثوابهم على طاعتهم وصبرهم على شدائد الدنيا ولكثرته لا يمكن عدّه وحسابه.

وقال عزّ وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٥.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٥) سورة الزمر، الآية: ١٠.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فالصبر والعمل الصالح كأنهما لا ينفصلان وقد استثنى الله سبحانه طائفة من الناس ووصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ثم وعدهم وعداً حسناً.

الصبر الجميل:

يقول الله سبحانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1]، يعني صبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس وقيل إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى وجعل للوجه الذي وجب فلما كان الصبر هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك والآية تحكي قصة يوسف عليه السلام وابيه عليه السلام، وهناك آيات كثيرة في هذا المجال.

الصبر على المصيبة:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

فقد جمع في هذه الآيات للصابرين الصلوات والرحمة والهدى، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾[3].

يعني صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في أداء

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٣) سورة الانعام، الآية: ٣٤.

الرسالة وهذا أمر منه سبحانه لنبيه ﷺ بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء من قبل وهو تسلية لنبيه ﷺ وسيأتي المزيد.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾[1].

يعني الله سبحانه أسس سنّة للبر والخير والاحسان من بينها الصبر والثبات والاستقامة.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾[2].

وقال عزّ وجل: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[3].

يعني إصبر على ما أصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل ما اصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها.

فهذه من الأمور التي يجب الثبات والدوام عليها والعزم والقوة والحزم والجذم، طبعاً هناك آيات كثيرة في هذا الجانب وغيره وهناك ملاحظة وهي أن الآيات قد تشمل شعبتين والثلاثة فلاحظ.

شيء من صبر الرسول ﷺ كما ورد في القرآن:

فقد ورد أن الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ فامره بالصبر والرّفق فقال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[1] فصبر رسول الله حتى نالوه بالعظائم ورجموه بها فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾[2]، ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾[3]. فالزم النبي ﷺ نفسه الصبر فتحدوه فذكر الله تبارك وتعالى وكذّبوه فقال قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله ثم بشر بقوله ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4] فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله سبحانه ذلك له فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾[5] فقال إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عزّ وجل له قتال المشركين فأنزل الله ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾[6].

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.
(٣) سورة الانعام، الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٥.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[1]، فقتلهم الله سبحانه على يدي رسول الله ﷺ وأحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر في الآخرة فمن صبروا فاحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر (الله) له عينه في اعدائه مع ما يدّخر له في الآخرة.

الصبر الجميل:

يقول الله سبحانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2]، يعني صبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس وقيل إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل لوجه الله الذي وجب طاعته فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك والآية تحكي قصة يوسف عليه السلام وأبيه، قد ضرب مثلاً في الحديث الذي يقول: إن الحر حر على جميع أحواله إن نابته نائبة صبر لها وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حريته أن استعبد وقهر وأسر ولم تضره ظلمة الجب ووحشته وما ناله إذ منّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إن كان له مالكاً فأرسله ورحم به أمة وكذلك الصبر يعقب خيراً فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا[3].

فكما أن صبر يوسف عليه السلام أعقب خيراً عظيماً له كذلك صبر كل أحد يعقب خيراً له فقد صبرت المقاومة الإسلامية في لبنان ونالت ما أرادت وصبر الشعب الفلسطيني في أرضه مع المواجهة سيجعله ينتصر على عدوه وقد قيل اصبر تظفر.

وقيل: إني وجدت في الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

(١) سورة البقرة: ١٩١.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٣) البرهان في تفسير القرآن/ ج ١٢/ ص ٧٧.

وقـلّ مـن جـدّ فـي أمـر يـطـالـبـه فاستصحب الصبر إلّا فاز بالظفر

طريق تحصيل الصبر:

ويكون من خلال تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى بالمعاهدة.

والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ودقتها وفرار الجزع وقبحه وان يكثر.

فكره في ما ورد في فضل الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والآخرة وأن يعلم أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات.

قصة أم عقيل:

فقد روي «أن أم عقيل كانت إمرأة في البادية فنزل عليها ضيفان وكان ولدها عقيل مع الإبل فأخبرت بأنه ازدحمت عليه الابل فرمت به في البئر فهلك فقالت المرأة للناعي انزل واقضِ ذمام القوم ودفعت إليه كبشاً فذبحه واصلحه وقرّب إلى القوم الطعام فجعلوا يأكلون ويتعجبون من صبرها (قال الراوي) فلما فرغنا خرجت إلينا وقالت يا قوم هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً فقلت نعم قالت: فاقرأ عليّ آيات اتعزى بها عن ولدى فقرأت ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ. . . إلى قوله ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

«فقالت السلام عليكم ثمّ صفّت قدميها وصلت ركعات ثم قالت اللهم إني فعلت ما امرتني فانجز لي ما وعدتني ولو بقي أحد لأحدٍ ـ قال فقلت في نفسي لبقيَ ابني لحاجتي إليه ـ فقالت لبقي محمد ﷺ لأمته فخرجت»[1].

(١) البحار: ج ٧٩/ ص ١٥٣، بالمضمون.

الفهرس

التوحيد في القرآن الكريم ٧
مفهوم التوحيد ٨
آيات تدل على الخالق المدبّر ٨
عدد السنين والحساب ١٠
أسرار العظمة الإلهية ١٠
دلالة النعم الإلهية على التوحيد ١١
فطرة الله التي فطر الناس عليها ١٢
وحدانية الله ١٣
قصة موحد يبهت ملحداً ١٤
أيضاً قصة إبراهيم الخليل عليه السلام التي تحكيها آيات قرآنية ١٤
العدل الالهي في القرآن ١٧
المقدمة ١٧
مفهوم العدل ١٨
العدل في حكمة الله في خلقه ١٩
العدل في تقدير كل شيء ٢٠
العدل في حسن الخلق ٢٠
العدل في هداية الخلق ٢٠
الله قائم بالعدل ٢١
العدل في بيان الحجة ٢١
العدل في ثواب الرجل والمرأة ٢٢
أمر الناس بإقامة العدل ٢٣

قصة العدل في مقابل أعمال العباد ٢٤
النبوة في القرآن الكريم ٢٧
مفهوم النبوة ٢٨
الفرق بين النبي والرسول هو ٢٩
أنبياء أولوا العزم ٢٩
أهداف الأنبياء ٣٠
المعجزة عند الأنبياء ٣٢
الوحي للأنبياء ٣٣
عصمة الأنبياء ٣٣
العلم بالغيب ٣٥
خاتم النبيين ٣٥
عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦
رواية قصة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبو طالب ٣٦
أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم ٣٩
مفهوم أهل البيت ٤١
وصيي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٢
وفي حديث المنزلة ٤٣
آيات كثيرة بحق أهل البيت عليهم السلام ٤٣
عصمة أهل البيت عليهم السلام ٤٨
عدد الأئمة عليهم السلام ٤٩
المعاد في القرآن الكريم ٥٣
مفهوم المعاد ٥٤
القرآن والرد على منكري المعاد ٥٤
القيامة في القرآن الكريم ٥٥
تفرّد الله بعلم الساعة واقترابها ٥٧
يوم الخروج في القرآن ٥٧
كتاب الأعمال في القرآن ٥٨

قصة عزير في القرآن ٥٩
العقل في القرآن الكريم ٦١
مفهوم العقل ٦٢
دور العقل في الإسلام ٦٢
خمسة آيات تصف أولي الألباب ٦٣
صفات العاقل في الحديث ٦٥
ما يذكر الا أولوا الألباب ٦٥
العقل عبارة عن قوة يعرف الحق بها ٦٦
فائدة ٦٦
قول أصحاب السعير ٦٨
تعقّل الحلال والحرام ٦٨
فهم الأمثال ٦٩
دور العقل في الحياة ٦٩
أي عقل له وهو يطيع الشيطان ٧٠
قصة الثواب على قدر العقل: (المقصود منها أخذ العبرة). .. ٧٠
العلم في القرآن الكريم ٧٣
مفهوم العلم ٧٤
محدودية علم الانسان ٧٧
النهي عن كتمان العلم ٧٧
طلب العلم ٧٨
علم الكتاب والحكمة ٧٨
فهم العلماء للأمثال والآيات ٧٩
إعتراف أهل العلم بالحق ٧٩
علم عدد السنين والحساب ٨٠
علم الساعة ٨٠
حرمة القول بغير علم ٨١
فضل العلماء ٨١

قصة طالوت ٨١
الايمان في القرآن الكريم ٨٥
ما هو الفرق بين الإسلام والإيمان. ٨٥
أركان الإيمان ٨٥
تأثير كلام الله على المؤمن ٨٦
أفضل المؤمنين ٨٧
علامات المؤمن ٨٧
منازل الإيمان ٨٧
ما هو الإيمان الحقيقي؟. ٨٨
درجات الإيمان ٨٨
أنواع الإيمان ٨٨
ما هو تمام الايمان ونقصه؟ ٩٠
ومن قصص الايمان ٩١
الدعاء إلى الله بالتوفيق للإيمان ٩٢
التقوى في القرآن الكريم ٩٣
مفهوم التقوى ٩٤
التقوى وفوائدها كما يشير القرآن الكريم ٩٥
اختصاص هداية القرآن للمتقين ٩٧
خصائص خمس للمتقين ٩٧
كل عمل لا بد أن يقترن بالتقوى ٩٨
أوصاف أخرى للمتقين ٩٩
قصة بلال الحبشي والمقياس الحقيقي للانسان ١٠٠
العبادة في القرآن الكريم ١٠٣
مفهوم العبادة ١٠٤
دعوة الأنبياء إلى عبادة الله سبحانه ١٠٥
العبادة غاية الخلق ١٠٦
دعوة أهل الكتاب إلى عبادة الله سبحانه ١٠٦

العبادة على حرف ١٠٧
ضرورة استمرارية العبادة لله سبحانه ١٠٧
الصلاة من أفضل العبادات ١٠٧
الصوم من العبادات الكبرى ١٠٨
الحج أيضاً من العبادات الكبرى ١٠٨
الانفاق في سبيل الله سبحانه ١٠٩
الزكـــــاة ١٠٩
الاخلاص في العبادة ١٠٩
عبادة النبي ﷺ ١١٠
التشريع للعبادة ١١٠
قصة الاعتدال في العبادة ١١١
عبادة الأحرار ١١٢
خصائص المؤمنين في القرآن الكريم ١١٣
مفهوم الايمان ١١٤
بين الايمان والاسلام ١١٤
المؤمنون في سورتهم ١١٥
من خصائص المؤمنين أيضاً ١١٦
المؤمن المجاهد ١١٧
نور الايمان ١١٨
حقيقة المؤمن في الحديث ١١٩
قصة حارثة مع رسول الله ﷺ ١١٩
الكافرون في القرآن الكريم ١٢١
مفهوم الكفر ١٢٢
خمسة معتقدات من جحدها فهو ضال ١٢٤
الجاحد لله سبحانه ورسوله ﷺ في السعير ١٢٤
الشرك بالله ١٢٥
إنكار النبوة كفر ١٢٥

النار حق ١٢٥
إنكار الكفار ليوم القيامة ١٢٦
استحلال الحكم بغير ما أنزل الله كفر ١٢٦
شك الكفار بالقرآن ١٢٦
إنكار الكفار لنعمة الله تعالى ١٢٧
مصير الكفار ١٢٨
قصة السلطان الكافر والوزير المؤمن ١٢٨
المنافقون في القرآن الكريم ١٣١
مفهوم النفاق والمنافقين ١٣٢
عشر علامات للمنافقين في سورتهم ١٣٣
المواصفات الروحية للمنافقين وأعمالهم كما وردت في سورة البقرة ١٣٥
وصفهم سبحانه بأنهم كسالى يُراؤون الناس ١٣٧
تخلف المنافقين عن الجهاد ووعيد العذاب لهم ١٣٨
المنافقون اعدى الأعداء للحق والحقيقة ١٣٩
عاقبة المنافقين وصفة حشرهم ١٤٠
ما هو شرط قبول توبة المنافق ١٤٠
قصة جلاس بن سويد بن الصامت ١٤١
ذكر الموت في القرآن الكريم ١٤٣
مفهوم الموت ١٤٤
استحالة الفرار من الموت ١٤٥
عوامل الخوف من الموت ١٤٦
الهدف من خلق الموت والحياة ١٤٧
الموت حق محتوم ١٤٨
موت المؤمن ١٤٩
سكرة الموت ١٤٩
أفضل الموت أفضل الموت هو موت الشهادة وقد نظم في ذلك . ١٥٠

التوبة قبل الموت ١٥١
وصية ابراهيم عليه السلام نبيه ١٥١
ما يتبع الانسان بعد الموت ١٥٢
ملك الموت ١٥٢
قصة وعبرة ١٥٢
الآخرة في القرآن الكريم ١٥٥
مفهوم الآخرة ١٥٦
إرادة الآخرة ١٥٦
الناس قسمان في طلب الدنيا والآخرة ١٥٧
من صفات المؤمن الاعتقاد بالآخرة ١٥٨
لمن الجنة ١٥٩
أفضلية الآخرة على الدنيا ١٥٩
شراء الآخرة بالدنيا ١٦٠
الانحراف عن الآخرة ١٦٠
حبط الأعمال ١٦١
كذب إدعاء الآخرة ١٦١
عذاب الآخرة لبني اسرائيل ١٦١
وعدم التزامهم بالأمور التالية ١٦٢
مصير منكري الآخرة ١٦٢
العمل في الآخرة ١٦٣
شيء من ثواب المؤمن في الآخرة ١٦٣
جهنّم في القرآن الكريم ١٦٥
مفهوم جهنم ١٦٧
دركات جهنّم ١٦٧
شدة عذاب جهنم ١٦٨
لماذا جهنّم للإنس والجنّ ١٦٨
وقود جهنم ١٦٩

طعام أهل النار ١٦٩
ألبسة وسلاسل وأغلال جهنم ١٧١
جهنم مثل الخيمة تحيط بأهلها ١٧١
عذاب أهل جهنم سوف يكون مستمراً ١٧١
إن جلود الجهنميين ١٧٢
شكل العذاب لمانع الحقوق في جهنم ١٧٢
سبب الخلود في النار ١٧٢
قصة منافيخ جهنم ١٧٣
الجنّة في القرآن الكريم ١٧٥
عرض الجنة ١٧٦
الجنة في مقابل الأعمال الصالحة ١٧٧
الجنة وعد بها المتقون ١٧٨
أفضل نعم الجنة ١٧٨
في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ١٧٩
قصور في الجنة ١٨٠
درجات الجنة ١٨٠
أبواب الجنة ١٨١
من تحرّم عليه الجنة ١٨١
الجنة محفوفة بالمكاره ١٨١
أوصاف نعم الجنة ١٨١
غرف الجنة ١٨٢
اليهود في القرآن الكريم ١٨٥
مفهوم اليهود ١٨٦
نبذة مختصرة عن تاريخ اليهود ١٨٧
بنوا إسرائيل ونقضهم للميثاق ١٨٨
بنو إسرائيل قتلة الأنبياء ١٩٠
عذاب اليهود ١٩١

تعصب اليهود ونفاقهم ١٩١
غرور اليهود وادعائهم الكاذب ١٩٢
بشر اليهود بالنبي ثم أنكروه ١٩٣
إثارة اليهود للفتن والحروب ١٩٤
مكر اليهود وخداعهم وحسدهم ١٩٥
قسوة القلب والاجرام عند اليهود ١٩٦
جبن اليهود وحبهم للحياة ١٩٧
قصة محاولة اغتيال النبي ﷺ ١٩٨
الجهاد في القرآن الكريم ٢٠١
مفهوم الجهاد ٢٠٢
وجوب الجهاد ٢٠٣
مفهوم الإسلام عن الحرب ٢٠٤
حقن الدماء وإحترام المسجد الحرام ٢٠٥
الجهوزية القتالية والاعداد للحرب ٢٠٥
نيل إحدى الحسنيين ٢٠٦
الدفاع عن المستضعفين ٢٠٦
فضل المجاهدين على القاعدين ٢٠٧
نصرة النبي ﷺ القائد ٢٠٧
لا جهاد على الضعفاء ٢٠٨
إحترام الأشهر الحرم والقتال فيها ٢٠٨
مقاتلة الأقرب فالأقرب ٢٠٩
احترام الأشهر الحرم ٢١٠
الكر والفر في الحرب ٢١٠
التحريض على القتال ٢١١
الغلظة على الأعداء والحرب الشاملة ٢١٢
الضغط البنّاء ٢١٢
الاصلاح بين المؤمنين ٢١٢

ينهي عن الارتداد وبيان صفات الحماة ٢١٣
شدة القتال واسرى الحرب ٢١٤
كيفية التعامل مع المهاجرات ٢١٤
سبب النزول ٢١٤
كيفية مبايعة النساء ٢١٥
خطأ المحاسبة ٢١٥
السلم والمهادنة ٢١٦
ضرورة الهجرة ٢١٦
قصة عمار بن ياسر ٢١٧
الجهاد الأصغر ٢١٧
ثواب المجهاد ٢١٨
من هو الشهيد ٢١٩
قصة حنظلة المجاهد ٢١٩
الصبر في القرآن الكريم ٢٢١
مفهوم الصبر ٢٢٢
آيات في الصبر عن المعصية ٢٢٣
آيات في الصبر على الطاعة ٢٢٤
يعين في الجهاد ٢٢٥
الصبر الجميل ٢٢٦
الصبر على المصيبة ٢٢٦
شيء من صبر الرسول ﷺ كما ورد في القرآن ٢٢٧
الصبر الجميل ٢٢٩
طريق تحصيل الصبر ٢٣٠
قصة أم عقيل ٢٣٠
الفهرس ٢٣١